***الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية***
***جامعة الجزائر2***
***معهد العلوم الاجتماعية***

**المقياس: المدخل إلى علوم التربية (أعمال موجهة)**
**الاستاذ: دريسي سليم**
**السنة: الاولى جذع مشترك علوم اجتماعية**
**الفوج: 6**

لقد ظهرت التربية مع ظهور الإنسان على وجه الأرض، حيث وهبه الله تعالى من الخصائص الجسدية والعقلية والنفسية ....ما جعله يسعى إلى تكييف أو التكيف مع الوسط الذي يعيش فيه، فبدأ بملاحظة مختلف الظواهر الطبيعية المحيطة به للإفادة منها في تسهيل حياته والمحافظة على نوعه، فبدأت تتكون لديه المعارف والخبرات الجديدة مكنته مع مرور الوقت من إبداع كيفيات وطرق حياة جديدة .
ومن هذا المنطلق يمكننا قول أن الإنسان كان يتفاعل باستمرار مع بيئته والتي كانت في حقيقة الأمر مدرسته الأولى ، فكان يتعلم عن طريق الخطأ أحيانا والإصابة أحيانا أخرى ، وهذا التفاعل المستمر بينه وبين مختلف عناصر بيئته قصد المحافظة على حياته المادية واستقراره الروحي ( النفسي ) هو ما نسميه التربية والتي هي الحياة نفسها.

## 1- التربية : الماهية والضرورة

### 1-1-تعريف التربية:

#### 1-1-1-تعريف التربية لغة:

كلمة التربية لها أصول لغوية ثلاثة :
**الأول:** ربا يربو بمعنى زاد ونما قال تعالى" يمحق الله الربا ، ويربي الصدقات..." سورة البقرة الآية 276.
**الثاني:** رَبِيَ يَرْبَى على وزن خفي يخفى ومعناه نشأ وترعرع .قال تعالى"قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين" سورة الشعراء الآية 18.
**الثالث:** رَبَّ يَرُبُّ على وزن مدّ يمدّ بمعنى أصلح الأمر وعدله وساسه وقام عليه ورعاه.
وعليه فأن مدار كلمة التربية عند العرب هي السياسة والتنمية والقيادة، لذلك كان فلاسفة العرب يسمون هذا الفن سياسة، فقد ألف ابن سينا كتابه "سياسة الرجل أهله وولده" ، وكان مصطلح التربية يشمل العلم والأخلاق وحسن السلوك والتصرف جميعا.
ويذكر معجم هاتزفليد Hatzfield ، ومعجم دار مستر Dar Master ، ومعجم توماس Thomas أنه لا أثر لمصطلح "التربية" في اللغة الفرنسية قبل عام 1527م ، وبدأ في الظهور منذ عام 1549م وحتى عام 1649م كان مفهوم التربية هو الدلالة على تكوين الجسد والنفس، وهي تلك العناية التي نقدمها للأطفال .
وفي اللغة الانجليزية Education مأخوذة من اللاتينية بمعنى القيادة E-ducere أي يقود خارجا ، ومنه يقود الولد أي يهذبه ويرشده.

#### 1-1-2-تعريف التربية اصطلاحا:

للتربية تعريفات كثيرة وعديدة وردت عن العلماء وباحثين مختصين قدامى ومحدثين، والخلاف في وجهة النظر معقول طالما أن الإنسان عضوية مركبة ( غير بسيطة ) ومتغيرة، سنتعرض لبعض التعاريف حتى يتضح لنا التعريف الاصطلاحي للتربية :

- أفلاطون ( 427-347 ق.م) :مثلا يرى أن الغرض من التربية هو أن يصبح الفرد عضوا صالحا في مجتمعه ، فيعرف التربية بأنها إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال وكل ما يمكن من الكمال.

- وأما أرسطو ( 385-323 ق.م) تلميذ أفلاطون: فيرى أن غرض التربية يتلخص في أمرين: أولا: أن يعمل الفرد كل ما هو مفيد وضروري في الحرب والسلم . وثانيا: أن يقوم الفرد بكل ما هو نبيل وخير من الأعمال ويعرف التربية بأنها إعداد العقل لكسب العلم ، كما تعد الأرض للنبات والزرع.
- ابن سينا ( 370-428 ه ) :يعرف التربية بأنها الإعداد لحياة الدنيا وحياة الآخرة.
- جون جاك روسو (1712-1778 م): الذي يعتبر رائد التربية الحديثة في الغرب في كتابه "إميل" يقول:" ليس على التلميذ أن يتعلم ولكن عليه أن يكتشف الحقائق بنفسه " مما يدل على أن التربية عملية ذاتية نابعة من طبيعة الطفل.
- تعريف إيميل دوركايم (1857- 1917م ):" التربية هي الفعل الذي يؤثر من خلاله الجيل الراشد على الجيل الصاعد الذي لم ينضج بعد للحياة الاجتماعية" فالتربية عند دوركايم هي عملية التنشئة الاجتماعية المنظمة للأجيال الصاعدة.
- جون ديوي (1859- 1952م) :يرى بأن التربية هي الحياة نفسها وليس مجرد إعداد للحياة، وهي عملية نمو ،وعملية تعلم، وعملية بناء وتجديد، مستمرين للخبرة، وعملية اجتماعية. فجون ديوي يؤمن بأن تكوين الخبرات لا يتم إلاّ عن طريق حل المشكلات ، وأن لا خير في شيء لا يكوّن خبرة عند الطفل.
- تعريف اللجنة الدولية للتربية 1998م: " التربية هي العمل المنسق المقصود الهادف إلى نقل المعرفة، وخلق القابليات وتكوين الإنسان ، والسعي به في طريق الكمال من جميع النواحي وعلى مدى الحياة ".
- تعريف لجنة وضع إستراتجية لتطوير التربية في البلاد العربية 1998م : " التربية هي عملية إنسانية سلوكية،اجتماعية، حضارية، تتألف في جوهرها من التعلم القائم أصلا على الجهود الذاتية للمتعلم المتجلية في تشكيل سلوكه ، المؤدية إلى تطوير شخصيته وبالتالي يساهم في تقدم مجتمعه وتمكنه من المساهمة في بناء الحضارة الإنسانية، وبهذه الصورة فهي عملية سلوكية اجتماعية غايتها القصوى خير الإنسان وخير المجتمع وخير الإنسانية جمعاء".

من خلال ما سبق نستطيع أن نستوعب مفهوم "التربية" الذي يفيد معنى التنمية ، وهي تتعلق بكل كائن حي (النبات، الحيوان ،الإنسان) ولكل منها أساليب خاصة للتربية ،وتربية الإنسان تبدأ قبل ولادته ، ولا تنتهي إلاّ بموته ، وهي تعني باختصار أن نهيّء الظروف والعوامل التي تساعد على النمو المتكامل للفرد من جميع النواحي الجسمية، والنفسية، والعقلية، والخلقية والجمالية.....

ومن الأهمية بمكان أن نبين أهم المفاهيم الأساسية التي يجب أن يتضمنها أي تعريف للتربية وهي:

- أن التربية تخص النوع الإنساني، وهي ظاهرة طبيعية في الجنس البشري كما ذكر جون ديوي.
- التربية عملية مستمرة سواء إذا تحدثنا عن التربية على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع، فتبدأ بتلقيح البويضة ولا تنتهي إلاّ بموت الإنسان وأما بالمعنى الاجتماعي فهي تنتقل من جيل إلى جيل ومن أمة إلى أمة.
- التربية عملية معقدة ،فهي تتكون من المربي والمتربي وهناك الوسط الذي تتم فيه العملية التربوية ،وهي عملية نمو متكاملة للفرد في جميع مجالات شخصيته جسدا ،ونفسا ،وعقلا وأخلاقا ...فكل عملية تربوية لا تصل إلى هذا العمق وهذا التعدد هي عملية مبتورة وناقصة.
- التربية طريقة ونظام ،فالغرض من التربية هو الوصل إلى كمال النمو وتوجيه السلوك وترشيده، فلا بد أن تكون بطرائق معينة ومناهج هادفة لا بطريقة عشوائية ،وهذا يختلف حسب الأهداف والمكان والزمان.
- وأخيرا التربية تكيّف، وبديهي أن نشير إلى أن مفهومي النمو والتكيف مفهومان متكاملان فالنمو لا يتم إلاّ بالتكيف ، والتكيف لا يكون ذا قيمة إلاّ إذا كان نموا.

**2-1- أهم المفاهيم والمصطلحات في علوم التربية:**

**1-2-1-التعلم:**

هو تغير ثابت نسبي في السلوك نتيجة لنشاط يقوم به الفرد عن طريق الخبرة والممارسة.

- (تغيرثابت نسبي): قيدنا هذا الثبات بالنسبية لأن التعلم ظاهرة إنسانية لا يمكن الحكم عليها بالثبات المطلق ( ولذلك يقوم علماء النفس التجريبي باستخدام الحيوان في التجارب لأنه أكثر موضوعية ،وأما الإنسان فقد يظهر ما لا يضمر، وهو كثير التغير).
- (في السلوك ): السلوك هو الموضوع الأساسي في علم النفس ، ويمكن تعريفه : بأنه هو كل نشاط يقوم به الإنسان ويصدر منه ،ويستطيع هو أن يلاحظه على نفسه أو يلاحظه عليه أشخاص آخرون.وقد يكون السلوك ظاهرا أو غير ظاهر.

- السلوك الظاهر: كالنشاط الحركي (المشي، الأكل..) أو الانفعالات (الغضب، الضحك..).
- السلوك غير الظاهر: الأنشطة العقلية كالتفكير ،والانتباه، والإدراك... فهي عمليات عقلية لا نستطيع ملاحظتها بصورة مباشرة ، وإنما يستدل على حدوثها بملاحظة نتائجها.

❖ وينقسم التعلم إلى تعلم مقصود وتعلم غير مقصود( التعلم العرضي).

- التعلم المقصود: وهو أن نتعلم بعض الأساليب السلوكية في مواقف تعليمية مقصودة ومعدة لهذا الغرض مثلا: المدرسة، الجامعة، مراكز التكوين...
- التعلم غير المقصود:(التعلم العرضي) ويسمى أيضا التعلم المصاحب ،حيث لا يهدف الموقف التعليمي إليه ، فهو غير محدد بزمان ولا مكان ، مثلا: يتعلم التلميذ الاحترام من خلال سلوك معلمه أو العدوان من خلال سلوك رفاقه ، أو أن يحب لباس معينا .....

**1-2-2-التعليم والتعلم:**

هناك عدم وضوح بين مفهومي التعلم والتعليم،إلاّ أنه يمكن التمييز بينهما فنقول: أن التعلم هو علم يبحث في تعديل أو تغيير سلوك الكائن الحي ، أما التعلم فإنه إجراء عملي يستخدم سيكولوجيا التعلم بالإضافة إلى علوم أخرى من أجل تحقيق هدف معين.

**1-2-3-التربية والتعليم:**

لقد التبس مفهوم التربية والتعليم على كثير من العامة والخاصة، فمنهم من جعل التربية والتعليم شيئا واحدا ومنهم من حاول وضع حدود فاصلة بينهما.

ويمكن أن نقول أن التربية عملية عامة والتعليم عملية أضيق وأنه يقع داخل دائرة عملية التربية ، وينصرف معنى التربية إلى السلوك والعادات والقيم والأخلاق ومظاهر الشخصية ....في حين ينصرف معنى التعليم إلى اكتساب المعارف والتفكير.

ولكن هذا التحديد لا يظهر دائما صحيحا ، فإذا انفرد كل مصطلح عن الآخرة في سياق معين فإنه يدل على المعنى الآخر ، لذلك نجد الوزارات المعنية في الدول العربية قد تقتصر على التربية (الجزائر: وزارة التربية الوطنية) وقد تنتهي إلى ذكر التعليم والإرشاد والتكوين....

ولكن من الأهمية بمكان التأكيد على ضرورة وأهمية وأسبقية التربية على التعليم ، وانسجام التربية والتعليم.

**1-2-4-التعليمية:**

اعتبرت التعليمية ولازالت كفن تدريبي ، وهي مرتبطة بكفاءة المعلم من حيث طريقة إيصال المعلومات والمعارف للمتعلمين بالقدر المناسب .

وهناك مصطلح آخر في نفس المعنى هو مصطلح ديداكتيك Didactique ، (هناك مصطلح التدريسية وهو استعمال عراقي غير شائع) .

مصطلح التعليمية أو الديداكتيك اصطلاح قديم حيث استخدم في التربية منذ بداية القرن 17 ،ولكنه تطور في معناه وفي دلالاته حتى الوقت الراهن.

Didactique مشتقة من الأصل اليوناني Didaktikos ومعناه فلنتعلم أي أعلمك وأتعلم منك ،وقد استخدمت هذه الكلمة في علم التربية أول مرة سنة 1613م من قبل هيلوينج Helwing كمرادف لفن التعليم ، واستمر هذا المفهوم سائدا حتى القرن 19 حيث وضع الفيلسوف الألماني هيربارت (1776-1841) الأسس العلمية للتعليمية كنظرية للتعليم تستهدف تربية الفرد ،وفي القرن العشرين مع ظهور تيار التربية الحديثة بزعامة جون ديوي أصبحت التعليمية نظرية للتعلم لا للتعليم .

فالديداكتيك علم تطبيقي وهي دراسة العملية لتنظيم وضعيات التعلم قصد اكتساب المتعلم أهدافا معرفية عقلية أو حركية أو وجدانية...فهي تعين المعلم على كيفية التعليم، و المتعلم كيف يتعلم، كما تهتم بدراسة محتوى المادة الدراسية.

**1-2-5-البيداغوجيا:**

كلمة يونانية مركبة من مقطعين PED وأصله Paidos بمعنى الطفل ،والمقطع الآخرAgogie وأصله Oggé بمعنى القيادة والتوجيه. فالكلمة تعني توجيه الأطفال وتربيتهم.

ولقد ظهرت هذه الكلمة في أثينا اليونانية حيث كان يكلفون عبدا مسنا حكيما لمرافقة أبنائهم للمدرسة والقيام عليهم في شؤونهم الدراسية، وكانوا يطلقون عليه لقب"البيداجوج" Pedagog ،ثم تطور هذا المصطلح وأصبحت البيداغوجيا في العلوم التربوية هي طريقة أو وسيلة التعلم ،وفي العصر الحالي تتناول كل الظروف العملية التربوية .(البيداغوجيا هي التناول القديم جدا للظاهرة التربوية في وجهها التعليمي).

-البيداغوجيا كانت تسمى فن التربية، والبيداغوجيا هي الممارسة المضبوطة للعملية التربوية، فهي تربية مقصودة ومضبوطة تتم في المدرسة(إن علوم التربية أصبحت تخضع للمنهج العلمي وأصبحت تسمى بيداغوجيا).

**1-2-6-تعريف المنهاج:** مجموع الخبرات التربوية والثقافية والاجتماعية والرياضية التي تهيئها المدرسة للتلاميذ داخل المدرسة وخارجها قصد مساعدتهم على النمو الشامل في جميع النواحي وتعديل سلوكهم طبقا للأهداف التربوية، ويتكون المنهاج من: الأهداف-المحتوى-الأدوات التعليمية وطرق التدريس-التقويم.

**1-2-7-تعريف النظام التربوي:** مجموعة من القواعد والتنظيمات والاجراءات تتبعها الدولة في تنظيم وتسيير شؤون التربية والتعليم، والنظام التربوي هو محصلة عدة مكونات علمية وسياسية واجتماعية واقتصادية وادارية محلية واقليمية وعالمية تسعى إلى تنمية البشرية وإعداد الفرد.

**1-3- ضرورة التربية:**

التربية ضرورة فردية وضرورة اجتماعية ، وكلما ترقى الإنسان وتطورت حياته، ازدادت حاجته إلى التربية . ولقد بقيت التربية في العصور القديمة حكر على الطبقات دون غيرها حتى قيام الثورة الفرنسية في أواخر القرن 18 حيث أصبحت حقا للجميع. وهو ما أكدته القوانين والتشريعات الصادرة عن الأمم المتحدة .

- **أولا: ضرورة التربية للأفراد:**

يحتاج الأفراد إلى التربية لأسباب جوهرية:

1) **العلم لا ينتقل من جيل لآخر بالوراثة:** فالعلوم والخبرات التي يكتسبها الآباء لا تنتقل بالوراثة البيولوجية إلى الأبناء ،كما هو شأن الصفات الفطرية غير المكتسبة ،وإنما هي ميراث اجتماعي جاهد الجنس البشري في اكتسابه وحافظ عليه آلاف السنين،وإذا ما أراد أن ينقل هذه المعارف والعلوم والمهارات والعادات ... إلى جيل اللاحق ما عليه إلاّ أن يسلك طريق التربية.
2) **الطفل البشري مخلوق عاجز،قابل للتكيف:** الطفل البشري مخلوق ضعيف كثير الاعتماد على الآخرين رغم أنه يتميز عن باقي المخلوقات بقدرته الكبيرة على التكيف عن طريق التعلم فهو يتعلم

مهارات ومعارف جديدة كثيرة في وقت قصير،فالطفل البشري يولد قبل أن يتم نضجه وتكتمل مقدرته على التعامل مع محيطه ،ويظل زمنا طويلا بعد الولادة متخلف النضج (لا يبلغ حتى سن 13 سنة تقريبا ،ولا يبلغ أشده حتى سن 18..) .في حين أكثرالحيوانات لا تكاد تجيء حتى إلى هذا العالم حتى تستقل عن أبويها ،وتقوم بحاجاتها البيولوجية .

ولكن من جهة أخرى الطفل قابل للتكيف فعلى الرغم من أنه أقل قدرة عليه من صغار الحيوانات في أول الأمر والتي لا تلبث أن تتوقف عند حد معين إلاّ أن يفوقها – فكلما نضج ومرت به السنوات ازداد تكيفا وخبرة ومعرفة.

ولما كان الطفل كذلك فإنه يحتاج ضرورة إلى التربية التي تتعهده بالرعاية والتوجيه ونقل المعارف والخبرات حتى يستطيع المحافظة على حياته.

3) **البيئة البشرية كثيرة التغير والتعقيد:** يولد الطفل البشري في بيئة معقدة ماديا واجتماعيا وروحيا يصعب عليه التكيف معها ،وكلما تقدم المجتمع كلما تعقدت البيئة وأصبحت التربية ضرورة ملحة لتبسيطها وحل مشكلاتها والتكيف معها.

وأما التغير السريع فهو من خصائص العصر الحديث خاصة فمن واجب المعلمين أن يعودوا الأطفال على حل مشكلاتهم بأنفسهم عن طريق التفكير لا أن يلقونهم حلولا جاهزة.

- **ثانيا : ضرورة التربية للمجتمع:**

يحتاج المجتمع إلى التربية لأنها تساعده على سد حاجتين أساسيتين هما:

1) **الاحتفاظ بالتراث الثقافي:** إذا أراد المجتمع المتحضر أن يبقى ويستمر فلا بد له من الاحتفاظ بتراثه الثقافي وأن ينقله إلى جيل الناشئين ،كما أن هذا الجيل الجديد لا بد أن يكون على استعداد لتقبل هذا التراث الثقافي وإلاّ عاد إلى البداوة والتخلف.
2) **تعزيز التراث الثقافي:** يحتاج المجتمع البشري للتربية لتعزيز التراث وتجديده لا الاحتفاظ به وحسب، وإلاّ تحول إلى مجتمع رجعي متخلف ، وعلى التربية أن تقوم بتخليص هذا التراث من العيوب وعوامل التخلف المعطلة لمسيرته وتقدمه.

**1-4- صلة التربية بالعلوم الأخرى:**

**1-4-1-التربية والفلسفة:**

كانت الفلسفة منذ القدم تسمى بأم العلوم وكانت التربية أحد هذه العلوم المتضمنة فيها فكل مذهب فلسفي لا بد أن تكون له نظريته التربوية المنسجمة معه ،وفي الحقيقة ما فلسفة التربية إلاّ وجها تطبيقيا لمختلف الآراء والنظريات الفلسفية التي سادت البشرية في مجال خاص وهو التربية.

**1-4-2-التربية وعلم النفس:**

المنطلق في علاقة التربية بعلم النفس هو إقرار ضرورة معرفة الكائن الذي تعطى له التربية كأكبر مبدأ في العمل التربوي.

كما أن علم النفس يمد علم التربية بمعلومات ومعارف تتعلق بنمو الفرد ويتوقف عليها بناء الطرائق والأساليب والمناهج التربوية ،كما تتجلى العلاقة بينهما في دراسة موضوع التعلم ونظرياته والعمليات العقلية ،والدافعية للتعلم... فلا تستطيع التربية أن تؤدي وظيفتها بدون علم النفس الذي يركز على دراسة السلوك ودوافعه خاصة إذا علمنا أن التربية الحديثة تقوم على أساس معرفة الطفل معرفة دقيقة تقوم على نتائج الدراسة والبحوث النفسية ،ولكن رغم ذلك فإن التربية تبقى متميزة عن علم النفس في الطريقة والموضوع.

ولقد بين بياجيه أن الروح العلمية للبحوث النفسية وطرق الملاحظة هي التي أنعشت علم التربية وذلك عندما تجاوزت ميدان العلم والبحوث بشكل عام إلى ميدان التجريب المدرسي.

**1-4-3-التربية والبيولوجيا:**

كل تربية لا بد أن تأخذ بعين الاعتبار مستوى النمو الذي بلغه الفرد، والنمو لا ينحصر في ضرورة النضج الفيزيولوجي بل ينتج أيضا من تأثير العوامل الخارجية .

إن المعرفة الدقيقة للأزمنة البيولوجية التي يمكن أن ينطلق فيها تدريب النشاطات الرئيسة للسلوك الإنساني مهمة جدا لأنها تجنب محاولات التعلم المبكرة السابقة لأوانها وغالبا ما تكون غير مجدية وحتى ضارة ،كما أن معرفة مراحل هذا النضج يشكل أحد أهم الشروط الأساسية لتعلم المواد الدراسية والطرائق التي تقترحها المؤسسات التربوية.

وتجدر الملاحظة إلى أن وتيرة النمو وتطورات النضج تختلف من فرد إلى آخر وأن العمر الزمني لا يمكن أن يستخدم كمؤشر دقيق في هذا المضمار .

**1-4-4-التربية وعلم الاجتماع:**

العلاقة بين علم التربية وعلم الاجتماع وثيقة ،ومما يدل على ذلك ظهور فرع مهم من فروع السوسيولوجيا هو (علم الاجتماع التربوي) الذي نشأ وتطور في القرن العشرين ويجمع بين علم الاجتماع وعلم التربية ،ويدرس في جميع الكليات والجامعات في العالم ،فالأسس الاجتماعية مهمة في العملية التربوية وذلك لأن التربية لا تتم في فراغ وإنما في مجتمع له أسس اقتصادية وسياسية وثقافية وتربوية ،والمجتمع في وجوده واستمراره وتطوره يحتاج إلى تربية.

***1-4-5-التربية والتاريخ.***

يقول العلامة ابن مخلوف المالكي في كتابه"شجرة النور الزكية في طبقات المالكة" مبينا أهمية التاريخ للإنسان:

لـيس بإنســـــان ولا شبهـــه  من لا يعي التاريخ في صدره
ومن روى أخبار من قد مضى  أضاف أعمـــــارا إلى عمره

فالتاريخ هو ذاكرة الشعوب ، وهو علم ضروري ومهم لجميع العلوم ،ومن أهم مايتميز به الإنسان عن غيره هي أن كل جيل من البشر يعرف تجارب الجيل الذي سبقه ويستفيد منها ،فيأتي بذلك يومه أكثر تقدما من أمسه ،ويجيء غده أفضل من يومه ،وهذا هو مفهوم التربية.

إن التربية في علاقتها مع التاريخ تكون ما يسمى بتاريخ التربية الذي يدرس حركة المجتمعات البشرية وتفاعلاتها وتأثيراتها على التربية.

**1-4-6-التربية والإحصاء:**

الإحصاء هو علم يبحث في طرق جمع الحقائق الخاصة بالظواهر العلمية الاجتماعية التي تتمثل في حالات أو مشاهدات متعددة ،وفي كيفية تسجيل هذه الحقائق في صورة قياسية رقمية وتلخيصها بطريقة يسهل بها معرفة اتجاهات الظواهر وعلاقات بعضها ببعض ،ويبحث أيضا في دراسته هذه العلاقات والاتجاهات واستخدامها في تفهم حقيقة الظواهر ومعرفة القوانين التي تسير تبعا لها .

ويلجأ الباحث إلى تحليل نتائجه تحليلا إحصائيا ليدرك مثلا مدى تجمعها أو تشتتها ،ويهدف بذلك إلى فهم العوامل الأساسية التي تؤثر على الظاهرة التي يدرسها محاولا الوصول إلى قانون عام يصلح لتفسير تلك الظاهرة والظواهر الأخرى التي ينتمي إليها ،ولهذا كان الإحصاء من أهم الوسائل التي تستعين بها العلوم ومنها علوم التربية في الوصول إلى النتائج وتحليلها وتعميمها.

### *1-5- تصنيف ميالاري Mialaret المطوّر (الحديث) لعلوم التربية:*

يشمل التصنيف الحديث لعلوم التربية كما حدده ميالاري ثلاث فئات هي:

- العلوم التي تدرس الظروف العامة والمحلية للتربية (تاريخ التربية- علم إجتماع التربية- الديمغرافيا المدرسية- اقتصاديات التربية- التربية المقارنة).

- العلوم التي تدرس وضعية التربية والأحداث التربوية نفسها (فزيولوجية التربية- سيكولوجية التربية- الإتصال التربوي- التعليمية- الطرائق- الأندارغوجيا- التقويم والدوسيمولوجيا).

- العلوم التي تتناول الفكر التربوي وتطوره (فلسفة التربية).

**1-5-1- العلوم التي تدرس الظروف العامة والمحلية للتربية:**

**1-5-1-1- تاريخ التربية:** تاريخ التربية هو أحد مكونات التاريخ العام وموضوعه يتمثل في دراسة المسائل المرتبطة بالتعليم والتربية في مختلف المراحل التاريخية في العصر القديم والوسيط والحديث والفترة المعاصرة.

ويشهد تاريخ التربية تفرعات تتكامل فيما بينها لكنها لم تبلغ كلها نفس الدرجة من التطور منها:

- تاريخ الفكر البيداغوجي والأفكار التربوية.

- تاريخ المناهج والتقنيات البيداغوجية (مثلا تطوّر تصميم الكتب).

- تاريخ المؤسسات التربوية (باعتبار أنَّ في كلِّ مرحلة من مراحل تاريخ المجتمع تظهر مؤسسات استجابة للحاجة.....)

**1-5-1-2- علم اجتماع التربية:** يبرز علم اجتماع التربية في مستويين أولهما تمثله مكانة المدرسة في المجتمع والدور الذي تقوم به، وثانيهما تمثله المدرسة كمجتمع في حدّ ذاتها.

**1-5-1-3- الديمغرافيا المدرسية:** باعتبار المجتمع المدرسي خاضع لحركة داخلية متمثلة في تكرار السنوات أو الرسوب والانقطاع عن الدراسة، والتوجيه المدرسي... فكلّ ذلك يتم قياسه عن طريق الديمغرافيا المدرسية وتسعى إلى تبيين الحالة التي يكون عليها مجتمع الأطفال من حيث تعداده وتوزيعه حسب بعض المتغيرات كالسن والمستوى الدراسي ونمط المؤسسة والجنس...

وإنه لمن غير الممكن أن نتناول العلاقات الإنسانية داخل وضعية تربوية ما إذا كنا لا نعير الاهتمام إلى الجوانب الكمية لهذه الوضعية.

**1-5-1-4- اقتصاديات التربية:**

لا يمكن للمؤسسة مهما كان نوعها أن تعمل بدون أن تكون لها ميزانية، وقد تطورت اقتصاديات التربية من هذا المنظور أي دراسة الميزانيات والتكلفات التي تتطلّبها التربية والتوقعات المنتظرة في هذا الميدان.

**1-5-1-5- التربية المقارنة:** التربية المقارنة هي ذلك الجزء من النظرية التربوية الذي يهتم بتحليل وتأويل مختلف الممارسات والسياسات في مجال التربية في مختلف البلدان ومختلف الثقافات هدفها هو جمع وتصنيف كلّ المعلومات الوضعية والكمية التي تخصّ الأنظمة التربوية بكلّ ما تتضمنه من مدارس وإدارة وأساتذة وتلاميذ وبرامج .... إلخ.

وهناك أهداف فرعية عديدة ترمي إليها التربية المقارنة ويمكن إجمال ذلك فيما يلي:

- دراسة نظم التعليم في مختلف البلدان لفهم مشكلات التربية التي تواجهها هذه البلدان ومعرفة الطرق التي اتبعتها في إيجاد الحلول لهذه المشكلات.

- مساعدة الدارسين على فهم المشكلات التربوية في بلدهم والقيام بالموازنة بين الجانب النظري والجانب العملي وفهم التربية في مجتمعهم.

- الوقوف على المناهج والخطط والنظم المدرسية عند الغير والاستفادة من نقاط القوة فيها.

**1-5-2- العلوم التي تدرس ظروف الفعل التربوي:**

**1-5-2-1- فيزيولوجية التربية:**

تتناول فيزيولوجية التربية الحالة الصحية للتلاميذ والتوازن الغذائي...، فلقد دلت البحوث تأثير التغذية مثلا كمًا وكيفًا على التحصيل الدراسي للتلميذ وكذلك العناصر الكيماوية الضرورية للذاكرة والإنتباه، ومشكلات التعب والإرهاق وعدم التركيز .....

والجديد بالذكر أن فيزيولوجية التربية لم تتوقف عند هذا الحدّ بل تناولت بالدراسة ظروف الحياة المدرسية كالتهوية، الإضاءة، الألوان، الصوت .....

**1-5-2-2- سيكولوجية التربية:**

تتشكل سيكولوجية التربية من مجموع الدراسات التي تنصبّ على السلوكيات والأنساق الفردية والجماعية التي يحدثها الفعل التربوي (وهذا قبل وأثناء وبعد تلقيهم لهذا الفعل التربوي).

ومن بين المجالات التي تتضمنها سيكولوجية التربية، التعلم وما يرتبط به من مواضيع كالدافعية والعمليات العقلية كالانتباه والذاكرة...، والطرائق والتقنيات التربوية، وعلم النفس الاجتماعي ...

**1-5-2-3- الاتصال التربوي:**

ويتأسس هذا العلم على البيولوجيا وعلم النفس وعلم النفس الاجتماعي، ويتناول بالدراسة التواصل بصفة عامة وخصائص الإرسال وصعوباته وكذا حالة المستقبل.

**1-5-2-4- علوم تعليمية المواد وبناء المناهج:**

وتهتم بدراسة كلّ ما هو تعليمي تعلّمي، أي كيف يعلِّم الأستاذ؟! وكيف يتعلم التلميذ؟! وما هو محتوى المادة الدراسية المناسبة لمستوى نمو ونضج التلاميذ المعرفي.

**1-5-2-5- علوم الطرائق والتقنيات:** وتختلف الطرائق والتقنيات التربوية من عصر إلى عصر فنجد الطرائق التقليدية والطرائق الحديثة، كما تختلف من مدرسة إلى أخرى.

**1-5-2-6- الأندراغوجيا Andragogie**

ويرجع هذا العلم الحديث نسبياً إلى اللغة اليونانية Andragogie مكوّنة من جزأين Andraوتعني الرجل أو الرشد Ogogie تعني التوجيه والقيادة، وبنتها اليونسكو للإشارة لما يسمى " ***بتكوين الأشخاص الراشدين*** " .

إن بيداغوجيا الكبار أي الأندراغوجيا هي ميدان دراسة ظهر بصفة متأخرة نسبيا في حقل علوم التربية، وهذا كإجابة للتساؤل المطروح: هل هناك خصوصية ينفرد به التعلم عند الراشد؟! وكيف يمكن تناول هذه المسألة من المنظور الاستيمولوجي؟!.

تهتم الأندراغوجيا بدارسة المظاهر المتعلقة بنظرية وتطبيقات تعليم الكبار فهي علم وفن مساعدة الراشد على التعلم، وهي علم له أسسه ومبادئه بحكم اختلاف شخصية الراشد (الفيزيولوجية، المعرفية، النفسية، الاجتماعية ..... ) عن شخصية الطفل.

***مقارنة بين الإندراغوجيا والبيداغوجيا حسب الأمريكي مالكولم نولز***

| الصفة | البيداغـوجيا | الأندراغـوجيا |
|---|---|---|
| **المتعـلم** | يكون تابعا للمعلم فهو يتلقى، ويبقى المعلم هو من يحدد ماذا ومن وكيف يلقن المعرفة | يكون التوجه نحو الاستقلالية وتكون مهمة المعلم هي التحضير والتعزيز فيكون أكثر استشارياً |
| **خبرة المتعـلم** | قليلة، لذلك تكون طرق التدريس توجيهية | مصدر وفير، لذلك تكون طرق التدريس نقاشية |
| **الإستعداد للتعلم (شرط من شروط التعلم)** | يتعلم الأفراد ما الذي يتوقع منهم المجتمع تعلمه، لذلك تكون المناهج معيارية. | يتعلم الأشخاص ما هم بحاجة إليه، لذلك تكون البرامج التعليمية حول الحياة العملية. |
| **توجهات التعلم** | اكتساب وتلقي المعرفة حسب المناهج التعليمية. | تعلم الخبرات يجب أن يستند على التجارب، وحيث يكون الاهتمام بالجانب التطبيقي للموضوع. |

### 1-5-2-7- التقويم والدوسيمولوجيا:

مما لا شكّ فيه أن نجاعة الفعل التربوي أصبحت مرهونة بالتقويم الذي أصبح علما مركزيا في حقل علوم التربية.

ولقد تطور مفهوم التقويم وتطورت حركته خصوصاً في الولايات المتحدة الأمريكية أين ظهرت تيارات بيداغوجية مختلفة هدفت إلى تعويض إجراءات التقويم التقليدية التي تتصف بنوع من الذاتية ونقص الثبات بأساليب حديثة تتسم بالموضوعية والتنظيم.

### 1-5-3- العلوم التي تتناول الفكر التربوي وتطوره:

#### 1-5-3-1- فلسفة التربية:

وهي الدراسات النقدية للفكر التربوي في أسسه، وفرضياته، وانعكاساته على جوانب الحياة المتعددة.

## 2- الأسس التاريخية للتربية:

### تمهيد:

لقد كانت التربية دائما في خدمة الفرد والمجتمع، وإذا آمن المربّون بهذه الصفة الوظيفية للتربية فجدير بهم أن يتعرّفوا على الأسس التاريخية للعملية التربوية، والإلمام بالعوامل المؤثرة فيها كما كانت وكما هي عليه الآن، والتنبؤ بما ستكون عليه في المستقبل، ولا يتأتى ذلك حتى يكون المربي مطلعا على الدرب الذي سارت فيه التربية عبر التاريخ.

لا يمكن أن نتجاهل آلاف السنين من الجهد التربوي في مختلف البقاع ومختلف الفلسفات شكَّلت عقلنا وطبعت حياتنا بصفة خاصة، فمثلاً:

- ماذا يحدث عندما تتشكل وتتكيف التربية تبعاً للنظام الطبقي (أو الطائفي) بدلا من تكيفها للقدرات والإمكانيات؟! هذا ما حدث في الهند قبل قرون طويلة.

- ماذا يحدث للإنسان والمجتمع عندما تهيمن العسكرية على كافة جوانب العملية التربوية؟! هذا ما حدث في إسبرطة منذ حوالي أربعة وعشرين قرنا.

- ماذا يحدث عندما تأخذ التربية نمطا لا عقليا؟! حدث هذا في أوروبا في العصور الوسطى على أيدي الرهبان في الأديرة.

- ماذا يحدث عندما تتحكم وتهيمن الأطر العقدية المسبقة على الدراسة والبحث؟! هذا ما حدث في المجتمع الغربي في العصور الوسطى.

- ماذا يحدث عندما تصبح التربية أداة للبث السياسي والعنصري وسلاحا في أيدي المهيمنين على الحكم؟! هذا ما حدث في ألمانيا النازية.

- ماذا يحدث عندما تصبح التربية القوة والركيزة التي تبني بها الدولة كيانها من جديد؟! حدث هذا في اليابان الحديثة.

وسنتعرف من خلال هاته المحاضرات في الأساس التاريخي للتربية على مفهوم التربية وهدفها في كثير من المجتمعات عبر تسلسل زمني ومن ثمّ نستطيع إدراك أهميتها وتقييمها في كل مجتمع فنستفيد من حسنها ونتحاشى قبيحها.

**2-1- التربية في المجتمعات البدائية:**

لقد ارتبطت التربية بظهور الإنسان على الأرض، وإحساسه بنفسه وتفاعله في نطاق محيط أسرته ثم المجتمع الذي يعيش فيه.

يحدثنا القرآن الكريم أنَّ أوّل عملية تربوية في تاريخ الإنسان كانت مع آدم – عليه السلام- فهو الخليفة الذي سلّم أمر الأرض إليه، وأعطى من العلم ما ييسّر له استعمال خاصية اللغة برموزها وإشاراتها وإعطاء المسمّيات التي تميّزها، وهذا تكريم من – الله تعالى – للإنسان بالعلم والمعرفة، قال تعالى- " ***وإذا قال ربّك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة .... " الآيات 30-38 البقرة.***

في هذه الآيات نلمح بوادر التربية الإلاهية للإنسان ممثلاً في آدم –عليه السلام- حيث علّمه ووكّل إليه خلافة الأرض، وحذّره من غواية إبليس، ولكنّه خالف الأمر الإلهي، ثم ندم وتاب على هذه المعصية، وما ترتب على هذه التجربة من آثار، وما هذا إلاَّ جوهر مفهوم التربية.

– ثم تعدَّدت التجارب التي تربّي الإنسان في الأرض ويحدثنا القرآن عن قصة هابيل وقابيل، وما حدث بينهما وعن أوّل جريمة على هاته الأرض الآيات ***27-31 من سورة المائدة.***

تبيّنت القصة أن نفوس الناس تختلف وتتباين فلا بدَّ من تباين واختلاف وسائل التربية تبعاً، كما أن اندفاع النفس البشرية يؤدي بها إلى السلوك الإجرامي (القتل في القصة)، كما يظهر أيضا في القصة من خلال حيرة القاتل حداثة التجربة على الأرض، واستعمال الوسائل المادية في التربية(دفن الغراب للغراب).

– تقسّم التربية عند البدائيين من حيث الشكل تبعاً للتقسيم الحديث إلى جسدية وفكرية وروحية، أمّا فيما يتصل ***بالتربية الجسدية*** فإن البدائيين يتيحون لأطفالهم مجالا واسعا من الحرّية يستغله هؤلاء في ممارسة الألعاب الممتعة التي تقوم على تقليد الكبار في أنشطتهم وقت السلم والحرب، وهذا ما يعدّهم للحياة العملية بلا شكّ.

أمّا ***التربية الفكرية*** فيتغلب عليها الطابع العملي، وهدفها أن تجعل الطفل ذكرا كان أم أنثى قادراً على تلبية حاجياته وحاجيات أسرته فيما بعد تبعا لنمط القبيلة أو المجتمع.

أمّا فيما يتعلق ***بالتربية الدينية والخلقية***، فإن الشعائر الدينية التي ينقلوها لأبنائهم فإنها مليئة بالطقوس الغريبة وهذا بعد ذهاب التوحيد وانتشار الشرك، ونلمح في ثناياها الأصول الأولى للحياة الدينية، كالتفريق بين العالم المرئي والعالم غير المرئي، والإيمان بقوة عليا تنظم الكون وتهيمن عليه والاعتقاد بوجود أرواح خيّرة وأرواح شريرة، وانفصال الروح عن الجسد عند الموت، وفكرة الخطيئة التي تعاقب عليها سلطة غير مرئية، وتنظم بعض العبادات كالصلاة .....

أما الحسّ الخلقي لديهم فضامر، وإنّما تحتفظ نفوسهم بالكثير من سمات القانون الطبيعي، وهم يقدّسون الآباء، ويقدّرون الشجاعة والجَلَدَ والوفاء ..... الخ.

فمن خصائص التربية البدائية:

1- أنها تعتمد على التلقين والتدريب العملي والتقليد اللاشعوري.

2- أنها تتم بطريقة غير مقصودة (بدون معاهد أو مؤسسات خاصة بها، بل يقوم بها المجتمع كلّه).

3- أنها تربية مباشرة، تتم عن طريق الخبرة العملية والمشاركة في النشاط الجسدي والروحي.

4- غلبة روح المحافظة عليها.

## 2-2- التربية في الثقافات التاريخية الأولى:

- التربية عند الصينيين القدامى.
- التربية في مصر القديمة.
- التربية في اليونان(أثينا وإسبرطة).
- التربية عند الرومان.

### 2-2-1- التربية الصينية القديمة

**- لمحة تاريخية واجتماعية:**

ولا يعرف أصل الصينيين بالضبط، ولا من أين جاؤوا، ولا متى بدأت حضارتهم، ودلَّت الحفريات في بلاد الصين على وجود حضارة قديمة تعود إلى العصر الحجري الأوَّل، ويرى بعض المؤرخين أنَّه كان يعمر ***منغوليا*** منذ عشرين سنة قبل الميلاد أقواماً استخدموا الأدوات الحجرية، ويرون أنَّ نسل هؤلاء جابوا ***سيبريا والصين***.

وتقسّم الحضارة الصينية تاريخها إلى ثلاث مراحل هي:

- ***المرحلة الأولى: 800-630 ق. م***

سمّاها توينبي عصر النّمو، وكان سكانها من النّبلاء وهم وارثوا الأرض، والفلّاحون وهم بدون ألقاب ولا يملكون الأرض، وكانت النظرة إلى الكون في هذه المرحلة تسلّم بوجود قوّتين تسيِّران العالم وهما: قوّة(ين) وهي قوّة سلبية مؤنّثة مظلمة، وقوّة(يان) وهي قوّة موجبة مُذكّرة مضيئة، وهاتان القوّتان تسيطران على العالم.

***-المرحلةالثانية:630-221ق.م***

وسمّاها توينبي عصر الإضطرابات، وتميّزت بالإنشقاقات السياسية، وصراعات السلالات الحاكمة والعنف، وفي هذه المرحلة ظهر الفلاسفة الذين أيّدُوا الملكية كنظام للحكم، ولكنّهم شكّكوا في الأسس الأخلاقية التي يقوم عليها هذا النظام.

***- المرحلة الثالثة: 221 ق.م – 1905 م***

وسمّاها توينبي عصر الدولة العالمية، حيث تَمَّ في عام 221 ق.م توحيد البلاد وتحطيم الأرستقراطية فيها على يد أحد الأمراء (شنك)، ولكن أعيدت عام 191 ق.م

وتعتبر الأسرة في الصين عماد المجتمع، وقد ساد الزواج من امرأة واحدة مع وجود تعدّد الزوجات لكن في نطاق معيّن وتحت ظروف خاصة، ولم يكن الطلاق شائعاً، وكان النّساء ليتكلّمن عمّا يدور خارج البيت، ولا يتدخل الرجال فيما يدور في البيت.

وقد ساد الصين ثلاث ديانات هي: الكونفوشيوسية، البوذية، التاوية.

**1- الكونفوشيوسية:** هي ديانة أهل الصين، وهي ترجع إلى الفيلسوف كونفوشيوس الذي ظهر في القرن 06 ق.م، داعيا إلى إحياء الطقوس والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم، مضيفا إليها جانبا من فلسفته وآرائه في الأخلاق والمعاملات.

- **ترجمة كونفوشيوس:** ولد سنة 551 ق.م في مدينة تسو Tsou وهي إحدى مدن مقاطعة " لو" Lu .اسمه كونج **Kung** وهو إسم القبيلة التي ينتمي إليها، وفوتس futze معناه الرئيس أو الفيلسوف فهو بذلك رئيس كونج أو فيلسوفها. ينتسب إلى أسرة عريقة، فجده كان واليا على تلك الولاية، ووالده كان ضابطا حربيا، عاش يتيماً فوالده توفي وعمره ثلاث سنوات، عمل في الرعي، وتزوّج في مقتبل عمره، ولكنه فارق زوجته بعد سنتين من الزوج، لأنّها لم تتحمل دقتّه الشديدة في المأكل والمشرب واللباس ونظام حياته بصفة عامة.

عندما بلغ الثانية والعشرين من عمره أنشأ مدرسة لأصول الفلسفة، وتكاثر تلاميذه حتّى بلغوا ثلاثة ألاف تلميذ.

اِشتغل كثيرا من الوظائف: مستشاراً للأمراء، عُيّن قاضياً، وزيراً للعدل، وزيراً للعمل، ورئيساً للوزراء سنة 496 ق.م وأقدم على إعدام بعض رؤوس الفساد في مقاطعته، وصارت مقاطعة Lu نموذجية في تطبيق الآراء والمبادئ المثالية التي ينادي بها.

رحل إلى كثير من المقاطعات لدعوة الحكام والإحتكاك بالناس لنشر تعاليم فكره.

أمّا صفاته الشخصية فيقال عنه أنّه مؤدّب، مَرِح يُحبُّ النكتة، دقيق في مأكله ومشربه وملبسه، مولع بالقراءة والبحث، لا يميل إلى الثرثرة، وهو خطيب مُفوَّه، كان لديه شعور ديني ويحترم الآلهة.. وكان يغَنّي ويعزف الموسيقى ومهتم بالرماية والرياضيات والتاريخ.

- في سنة ***422 م*** أقيم معبد لكونفوشيوس في Chufan حيث قبره.
- في سنة ***505 م*** أقيم له معبد آخر، وأصبحت كتبه تدرّس في المعابد على أنّها كتب مقدّسة، ثمّ عُمّم بناء المعابد في جميع الصين.
- في سنة ***735 م*** منح كونفوشيوس لقب ملك، وفي سنة ***1013 م*** مُنِح لقب القدّيس الأعظم.
- في سنة ***1905 م*** بدأ نجم الكونفوشيوسية بالأفول إذ أُلغِي الامتحان الديني الذي كان ضروريا للتعيين في الوظائف.
- في سنة ***1910 م*** ظهر مُذنّب هالي ***Hally*** في الأجواء الصينية فاعتبر ذلك إستياء من الآلهة

على الأسرة الحاكمة ممّا أدى إلى ثورة شعبية إنتهت بتنازل الإمبراطور عن العرش سنة ***1912 م*** وتحوّلت الصين إلى النّظام الجمهوري، ممّا أدى إختفاء الكونفوشيوسية من الحياة الدينية والسياسية، لكنّها بقيت ماثلة في الأخلاق والتقاليد الصينية.

عندما إستولى اليابانيون على منشوريا عادت الصين إستنهاض الهمم بالكونفوشيوسية، وعاد الناس إلى تقديم القربين***1930م – 1934م***، وأعيد تدريس تعاليم الكونفوشيوسية.

- **أهم المعتقدات:**

– يعتقدون في الإله الأعظم أو إله السّماء ويتوجهون إليه بالعبادة.

– يقدّسون الملائكة ويقدّمون إليها القرابين.

– يقدّسون أرواح الأجداد ويعتقدون بقاءها ويتقرّبون إليها.

– لا يعتقدون بالبعث والحساب الأُخروي، إذ همّهم مُنصَبٌ على إصلاح الدنيا، وقد سأل تلميذ كونفوشيوس عن الموت فقال: "إنّنا لا نعرف الحياة فكيف نعرف الموت؟!!".

– يعتقدون أنّ الظلم سبب الكوارث كالزلازل والبراكين والفيضانات...

– كان كونفوشيوس مغرماً بالسعي لتحقيق المدينة الفاضلة، ولكنها تختلف عن مدينة أفلاطون الخيالية، إذ أنّها ممكنة التطبيق، والفيلسوفان متعاصران.

– ترك كونفوشيوس بعد وفاته خمسة مجلدات عرفت باسم الجانجات البشرية الخمسة أو كتب القانون الخمسة وهي: سِجّل المراسيم، كتاب التغيّرات، كتاب الأناشيد، حوليات الربيع والخريف، وكتاب التاريخ.

**2–التاوية:** ومؤسسها (لاو–تس)، وكان معاصراً لكونفوشيوس، وقد علم مريديه أنّ التاو "الطريق الحق" مرتبط إرتباطاً وثيقا بالعالم، وكان يهدف إلى الحياة السعيدة على الأرض بسهولة دون تعقيد، وهي ديانة تتراوح بين البدائية والسحر.

**3–البوذية:** مؤسسها سدهارتا جوتاما المّلقب "بوذا" وتعني العالم، ويلقب أيضاً "سكيامونتي" وتعني: المعتكف، ظهرت في القرن السادس (وقيل 5) قبل الميلاد في بلاد التبت شمال الهند، وهي تتضمن أفكار زُهدٍ وتقشُّفٍ ، جذبت إليها أتباعاً كثيرين، بحكم أنّها تدعو إلى خلاص النّفوس، وتتكون البوذية من الحقائق النبيلة الأربع التالية:

1– الوجود شقاء.

2– يتسبّب الشقاء عن الرغبات الأنانية.

3– يمكن تدمير الرغبات الأنانية.

4– يتّم تدميرها بإتباع طريق ذي ثماني شُعَب، خطواته هي: الفهم السليم والغرض الصحيح، والقول الحق، والسلوك القويم، المُهلة المناسبة، المحاولة الجادة، اليقظة الواعية، التركيز الصادق. والجدير بالملاحظة أنّه لم يحدث تناقض بين هذه الديانات الثلاث، الكونفوشيوسية، التاوية، البوذية، وقد يعتنقها الصيني معاً، ولا غرابة في ذلك لأنّها تهتم بالحياة الدنيوية للإنسان.

- **هدف التربية الصينية ونظامها:**

تهدف التربية الصينية إلى إعداد الفرد لسلوك طريق الواجب، وخدمة النظام القائم وإعداد الموظفين للدولة.

ومن خصائص التربية في الصين القديمة:

- إنفصال التربية والتعليم عن الدين.
- لم يكن بالصين نظام تعليم حكومي.
- كانت المدارس الأولى عبارة عن أكواخ صغيرة، يدرّس فيه معلمون، يتحصّلون على أجر ضئيل من الأولياء.
- لم يكن التعليم عاماً، بل كان مقتصراً على أبناء القادرين على الدفع.
- لم يكن هناك تعليم للبنات.

تقسّم مراحل الدراسة في الصين القديمة إلى ثلاثة أقسام: مرحلة التعليم الأولى، مرحلة التعليم الثانوي، مرحلة التعليم العالي.

- **مرحلة التعليم الأولى:**

كانت مدارس التعليم الأولى منتشرة في كلّ مكان، وهي خاصة بالبنين فقط، وليس لها صفة رسمية، وكان يُجمع لها إعانات ومساعدات خاصة.

خضعت الدراسة لنظام صارم حيث يأتي الأطفال إلى المدرسة مع طلوع الشمس، ويدرسون حتى المغيب ولهم فترات راحة يتناولون فيها الطعام.

كانوا يتعلّمون القراءة والكتابة، ويحفظون الكتب الدينية المقدّسة وبعض الشعر.

كان المعلم يلجأ إلى التحفيظ عن ظهر قلب، وإستعمال العقاب لتأكيده.

- **مرحلة التعليم الثانوي:**

يتعلّم فيها التلاميذ الكتابات الفلسفية والدينية والإجتماعية مع زيادة الشرح والتفسير، ودراسة التاريخ الصيني والمالية والشؤون الحربية.

- **مرحلة التعليم العالي:**

ويتمرّن فيها التلاميذ على كتابة المقالات والرسائل، إستعداداً لدخول الإمتحان العام، الذي يأتي بعد هذه المرحلة، ويتّم التعليم العالي في المدارس العليا والأكاديميات الخاصة والحكومية في المدن الكبرى.

- **نظام الإمتحانات :**

يعتبر نظام الإمتحانات في الصين الظاهرة الأساسية في التربية والتعليم، وذلك لأنّ هذه الامتحانات لا تمثّل القوة المسيطرة على التربية فحسب، بل أيضا تدعم الوسائل التي تؤدي إلى صيانة الكيان الحكومي والاجتماعي، ويتم عن طريقها إنتخاب الموظفين اللاّزمين لإدارة شؤون الدولة، والناجحون في هذه الامتحانات يتمتّعون

بالاحترام والتقدير من طرف الجميع في الصين، ولهم ملابس وشارات خاصة لا يرتديها غيرهم، ويسيطر على هذه الامتحانات علماء صينيون سبق وأن نجحوا في هذه الامتحانات، وهي على ثلاثة أقسام:

**1- إمتحانات الدرجة الأولى:** وتُعقد مرّة كل ثلاث سنوات في المدن الكبرى في المقاطعة تحت إشراف العميد الأدبي ذي النفوذ التشريعي المطلق، ومدة الامتحان حوالي 24 ساعة حيث يوضع الطالب في غرفة خاصة، ويطلب منه إنشاء 3 رسائل في المواضيع المختارة من كتب كونفوشيوس، ونسبة النجاح فيها ضئيلة لا تتجاوز 4%، ويحصل الناجحون فيها على درجة الملكة الزاهرة، ويُعيّنون بوظائف صغرى في المقاطعات.

**2- إمتحانات الدرجة الثانية:** وتقام في عاصمة المقاطعة بعد مُضِي 4 أشهر على إمتحانات الدرجة الأولى، وتشبه الامتحانات الأولى في أسلوبها، لكنّها أصعب، وتدوم ثلاثة أيام، ونسبة النجاح فيها1%، ويحصل الناجحون فيها على درجة الرجل المنقول، ويُعيّنون بوظائف حكومية صغرى.

**3- إمتحانات الدرجة الثالثة:** وتقام في عاصمة الصين بكين، في أغرب قاعة للإمتحانات تتكون من عشرة آلاف حجرة، لكل طالب حجرة يأخذ طعامه وشرابه، ويستمّر الامتحان فيها ثلاثة عشر 13 يوماً، ونسبة النجاح فيها أعلى من الدرجتين السابقتين، ويحصل الناجحون فيها على درجة العلماء المسجلين، ويُعيّنون في مناصب الدولة الكبرى.

- وهناك إمتحان لا يتنافس فيه إلاّ العلماء المسجلون الناجحون في إمتحان الدرجة الثالثة، ولا ينال الناجح فيه درجة علمية وإنّما وظيفة حكومية عالية، وتُعدّه لأن يكون عضوا في المجلس الامبراطوري.

**2-2-2-التربية المصرية القديمة**

- **لمحة تاريخية وإجتماعية:** إختلفت آراء المؤرخين حول قدم الحضارة المصرية، ويرجع ماسبيرو فجر المصريين الأوائل إلى مابين ***8000-1000 سنة ق.م*** على أنّ التاريخ المُدَوّن عن مصر يبدأ من عام ***4241 ق.م***

ويقول ويل دينورايت أن غزاة وفدوا من غرب آسيا وفدوا بثقافة راقية، وتزاوجوا مع السكان في نهر النيل وأنجبوا سلالة هجينة كان مطلع الحضارة المصرية. ويقسّم تاريخ مصر إلى ثلاثة دول: الدولة القديمة، الوسطى، والحديثة. وعاش الأقوام حول نهر النيل منقسمين، لكل منهم إله واحد، ورئيس واحد، وإتّحدَت هذه الأقسام مع مرور الزمن وكوّنت مملكتين إحداهما في الشمال والأخرى في الجنوب.

- يقال أن الملك ***مينا*** هو من وَحَّد المملكتين، وإتّخذ عاصمة له في منف، وأعْلى قانونا أوحي إليه به الإله ***توت***، وبدأ عصر الأسرات في مصر القديمة.

- في حوالي ***3100 ق.م*** وضع ***أمحوتب*** الطبيب المهندس تصميم أوّل بناء حجري في العالم هو

هَرَم سفارة المدرَّج، وبدأت الأسر في تشييد الأهرام[1].

– بدأ عصر الأسر الستّ الأولى، أي الدولة القديمة من ***3500 ق.م*** إلى ***2631 ق.م*** ثمّ الدولة المتوسطة من ***2375 ق.م*** – ***1800 ق.م*** وشملت الأسر من الحادية عشر إلى الرابعة عشرة، ثمّ عصر الدولة الحديثة أو عصر الإمبراطورية من ***1580 ق.م*** إلى ***1100ق.م.*** ويشمل الأسر من الثامنة عشرة إلى العشرين.

– **رمسيس الثاني** هو فرعون موسى ذريته حكمت مصر زهاء قرن من الزمن أنسل ***150*** بل أنّه تزوّج من بعض بناته ليلدن له نسلا قويا.

– بدأ السقوط في عهد **رمسيس الثالث** حيث كثُر النزاع على السلطة والثروة، وضعفت مصر، فغزاها الليبيون من الغرب عام ***945 ق.م***، والأحباش من الجنوب عام ***732 ق.م***، والفرس عام ***525 ق.م*** ثم جعلها الرومان مزرعة كبيرة للقمح عام ***30 ق.م***

أمّا من الناحية الإجتماعية فقد كان المجتمع المصري طبقياً، ولكن طبقية مصر تقّل درجة عن طبقية الهند التي كانت بحكم الميلاد ولا يستطيع الفرد الخروج منها.

**طبقات المجتمع المصري القديم:**

1- الفرعون وأسرته وكبار رجال البلاط.
2- الكهنة وبعض النبلاء.
3- العسكريون من الكبار القادة.
4- كبار التجار والأثرياء.
5- الحرفيون والفلاحون والرعاة.
6- العبيد وهم من أسرى الحرب عادة.

وكان التفاوت في الغذاء واللباس واضحا، وكان من الممكن أن ينتقل فرد من طبقة إلى أخرى ولكن بعد جهد كبير.

– الديانة عند المصريين القدامى:

يعتبر المصريون القدامى من أكثر الأمم القديمة تعبّدا وديانة، ويظهر ذلك واضحا في معابدهم ومقابرهم، فعبدوا مظاهر الطبيعة المختلفة تأثّرا بالبيئة التي عاشوا فيها كالشمس والنيل، وعبدوا الأرض والسماء والنجوم...وكانت الشمس أعظم آلهتهم على الإطلاق، وكثر عبادها وسميت بأسماء كثيرة: رع، أمون، فتاح، وتوم، أوزيريس.

ثم عبد المصريون الحيوانات المختلفة: الثور والعجل والباشق والتمساح...الخ

[1]- كان المصريون يرون أن بناء الأهرامات ضمان لعودة (الكا) أي القرينة،– وهي صورة مصغرة من الجسم نفسه – ، إلى الجسم فيستطيع الفراعنة المدفونون في الأهرامات أن يعودوا إلى الحياة ويؤمّنوا رعاياهم عند البعث، فأُعدّت المقابر بما يحقق للقرينة كل ما تريد فنقشت على الجدران رسوم للمزارع والحيوانات والخدم وموائد بسطت عليها أشهى الأغذية تتحوّل إلى حقائق بعد رجوع – الكا – القرينة.

ثم صوّر المصريون آلهة على شكل أصنام، منها على صورة إنسان ومنها على صورة حيوان... وكانوا يعتقدون أن الآلهة تحلّ فيها، وكما عبدوا أرواح موتاهم.

ثم اِهتدوا في عهودهم الآخرة إلى فكرة الإله الواحد الذي لا شبيه له يحكم السموات والأرض ولا تدركه الأبصار. وقد آمن المصريون القدامى بالبعث بعد الموت، والثواب والعقاب في الدار الآخرة، كما اِعتقدوا أن الأرواح تعود وتسكن الأجساد من جديد، لذا اِهتموا بالتحنيط وبناء الأهرام لحفظها.

**– هدف التربية المصرية القديمة ونظامها:**

كان الهدف من التربية المصرية القديمة ثقافيا ودينيا ومهنيا، فقد كانت تسعى إلى تأكيد سيطرة الحاكم ورجال الدين من ناحية، وتنمية الحِرَف والمهن من جهة أخرى.

كانت المدارس لا تعلِّم إلاَّ أبناء الطبقة العليا، وكانوا يعطون للأطفال ذوي القدرات العليا فرصة للتعلُّم والانتقال من خلال ذلك من طبقة إلى طبقة أخرى، ولكن جلّ أبناء المصريين كانوا يتعلّمون الحِرف والمهن منذ الصغر.

كان التعليم في مصر القديمة على ثلاثة مراحل:

**1– المرحلة الأولى: (4–10) سنوات**

كان الأطفال قبل هذا السن في حضانة الأمّ، ويتعلمون المبادئ الأولى في الأسرة، وعَرَف البنات الدُمى، وعَرَف الأولاد لعبا كالتماسيح.

في مرحلة التمدرس كان أطفال المصريين يتلقون التعليم من طرف الأب، أو يُرسَلون إلى منزل أحد المربين لتلقي الخبرات المهنية، وإمَّا يذهب إلى المدرسة، وكانت تسمى(بيت التعليم)، والمقررات الدراسية، تشمل الدين والآداب والقراءة والكتابة والحساب، والرياضة البدنية والسباحة.

**2– المرحلة الثانية: (10–15) سنوات**

يتم الانتقال إلى المرحلة الثانية عن طريق الامتحان، وفي هذه المرحلة يتعلم التلميذ كتابة الحروف والرسم والمحاسبة والجغرافيا ونسخ الكتب، ثم بعد مُدّة كتابة الموضوعات الإنشائية.

**3– المرحلة الثالثة: التعليم العالي**

التعليم العالي في مصر القديمة كان مقرّه المعابد، والتي كانت بمثابة جامعات هذا العصر.

وكان الطابع المهني يغلب على الدراسات العليا حتَّى الأدب كان يدرس لغايات عملية وهي اِكتساب الصيغ اللغوية والقدرة على التعبير والإقناع.

ولقد عرف المصريون تخصصات مختلفة، فقد كان هناك الكُتّاب، والمهندسون، والأطباء، والكهنة...، وبرع المصريون في الرياضيات التي ساعدتهم في بناء الأهرامات ومسح الأرضي وحساب الأوقات ومن السلبيات في المجتمع المصري القديم كثرة الإيمان واِستخدام السحر والشعوذة والخرافات والتي أعاقت تطور العلوم المختلفة.

**- طرق التدريس ومناهجها:**

- كان المعلمون موظفين حكوميين وكانوا تحت سيطرة الكهنة.

- اقتصر التعليم على الذكور فقط وعلى نسبة قليلة منهم، التي كانت تدرس في المدارس - بسبب النظام الصارم والقاسي والشديد مما أثار الرعب في نفوس المتمدرسين، وأمّا الإناث فلم يسمح لهن بدخول المدارس إلاّ بنات الطبقة الراقية إستقدن من مدرسين خصوصيين.

- إعتقد المصريون أنَّ الإله توت هو من إخترع الكتابة، وكانت الكتابة المصرية الأولى عبارة عن صور ثمّ تطورت إلى الكتابة الهيروغليفية.

وكانت الكتابة تتكون من ***500*** رمز، وهي أوّل خطوة لترقي المناصب الحكومية، وكان الكتَّاب يُعْفَون من الأعمال اليدوية، وينالون منحاً حكومية، لذلك يحرص الآباء المصريون على تعليم أبنائهم الكتابة وهذا للانتقال من الطبقات الاجتماعية والاقتراب من القصر الحكومي.

- بالنسبة لمواد التعليم فقد سيطرت السلطات الرسمية والدينية سيطرة كاملة على المدارس، كما إقتصر مناقشة النصوص الدينية على كبار الكهنة فقط ممّا أدّى إلى الثبات على التقاليد.

- إستخدم المعلمون أسلوب الحفظ والتكرار.

- إتبّع المصريون في التعليم المهني نظام التلمذة الصناعية Apprentissage

- كان النظام العقابي في المدارس قاسياً، إذ كان الجَلْد شائعا إذا ما أهمل التلميذ واجباته، وكانوا يلجأون إلى التوبيخ في أبسط الأمور، وقد يصل العقاب في الأمور العظيمة إلى الحبس.

**- المرأة المصرية في زمن الفراعنة:**

لقد حظيت المرأة في مصر القديمة بمكانة راقية في المجتمع، وخاصة عند مقارنتها بمثيلاتها في اليونان في ذلك العصر أو غيره من المناطق.

فكانت الديانة المصرية القديمة تساوي بين الإله والإلهة، واعتبر المصريون الإلهات رموزاً للحب والإخلاص والذكاء مثلا: إيزيس، حاتحور، ساخمت.

ومن جملة الأساطير عندهم ما دلّت عليه أوراق البردي من أنّ مياه النيل تزداد عندما تتذكر"إيزيس" وفاة زوجها "أوزوريس" وتجلس عند حافة نهر النيل وتبكي فدموعها تسبّب في فيضانه.

- كانت المرأة في العصر الفرعوني تعمل في مجالات عديدة لاسيما السياسة، ومن أشهرهن الملكة "**حوتب**" تولّت الحكم بدلا من إبنها الصغير حتى بلغ السن المناسب للحكم، والملكة **حاتشبوت** حكمت مصر ***20 سنة***، وملكات كانت تحكم مصر إلى جانب أزواجهنّ مثل زوجة **أخناتون** " **نفرتيتي**" جميلة الجميلات، وأشهرهنّ آخر ملكة لمصر وهي **كليوباترا**.

– كما دلت اوراق البردي على وجود أسماء لنساء مصريات كنَّ يعملن في القضاء والطب، والكتابة، وإدارة المخازن وحتىّ في التجارة....

– نظّم القانون المصري القديم العديد من القضايا الخاصة بمعاملة المرأة كالزواج والطلاق وأعطاها حق الامتلاك وحق الميراث ، وكان يطالب في عقود الزواج الطرفين بالإخلاص والإحترام.

ويشير المؤرخون أنّ المرأة حتى في الطبقات الدنيا كانت تعيش في حرية وإحترام لأنّ من ثقافة المصري القديم أنّه يؤمن بدور المرأة المهم في الحياة وتحقيق السعادة، وكان الرجل المصري سواء ملك أو فلاح يتمسك بتقليد دفن الزوجات بجانب الرجل في نفس القبر، وكانوا يقولون :" الزوجان شريكان في الحياة فلا يفرقهما الموت بل يظلان عاشقان في الآخرة".

– ومن التقاليد الزواج من طبقة واحدة وقد يحدث الاستثناء ولايعاقب عليه، فحتّى الفراعنة كانوا يخالفون هذا التقليد، فلقد تزوّج الفرعون **نونخت** من كاتبته، والملك المشهور **امنحوتب** من امرأة سوداء من عامة الشعب اسمها " تي" اشتهرت بذكائها وعدلها وكانت تساعده في الحكم.

**2-2-3 التربية اليونانية:**

– **لمحة تاريخية واجتماعية:**

– تقع بلد اليونان التي تمتاز بجمال الطبيعة على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، مما سمح لها بالتواصل مع مختلف الحضارات المجاورة.

يرجع أصل الشعب اليوناني إلى آسيا حيث قدموا إليها وأغلبهم آريون او هنود أوروبيون،..ولقد أدّت الحروب اليونانية إلى هجرة كثير من القبائل وكوّنت ما يسمى بالدولة المدينة city state، وكانت كل مدينة مستقلة من حيث السياسة والإدارة والجيش... عن الأخرى، ومن أشهرها أثينا، اسبرطة، طيبة،..وغيرها.

– لم يكن للدولة اليونانية القديمة دين رسميّ يتمسّك به أفرادها، فكان كل انسان حرّ بالإيمان بما شاء من العقائد شرط أن لا يكفر بآلهة المدينة أو يسبها، وقد كان في المجتمع اليوناني عدد كبير من الآلهة على شكل تماثيل، وشبّه اليونانيون آلهتهم بالبشر، فهي تغضب وتحارب وتأكل وتقوم بجميع النشاطات، إلاّ أنّها خالدة لا تموت، وقوّتها تفوق قوّة البشر.

– ولم يكن الكهنة يتمتّعون بالقداسة التي كانت في المجتمعات القديمة السابقة، ولكنهم كانوا على درجة من الإحترام، إذ كانت العقيدة السائدة أنّ الصلة بين الإله والناس لا تحتاج إلى وسيط، فكان مهمة الكهنة القيام بالطقوس والمراسيم الدينية فقط.

وتنقسم التربية اليونانية القديمة إلى:

**1**– العصر الهومري القديم : 3000–700 ق. م.

**2**– نهضة أثينا وإسبرطة : 700–500 ق. م .

**3**– عصر الانتقال : 500– 338 ق. م.

**4**– العصر العالمي (الهيليني) : 338– 146 ق. م.

**1– العصر الهومري:** ويعرف هذا العصر بالبطولة والأمجاد، وهو يشمل القرون القديمة التي مرّت قبل هوميروس[2] ، ومعلوماتنا عن هذا العصر مستمدّة من إلياذة هوميروس.

لم يكن لدى اليونان في هذا العصر تعليم نظامي، وكان الطفل يتمرّن على مهنة أبيه، أو يتدرّب على حرفة معيّنة، وأمّا إذا كانت غايته الإنخراط في سلك الحكماء او المقاتلين وهما مهنتا الحكمة والجندية فعليه أن يحضر مجالس الحكماء او التدرّب و مشاهدة المعارك.

**2–التربية في اسبرط وأثينا:**

– **التربية الاسبرطية:**

– كانت الدولة مهيمنة على تعليم الاسبرطيين في جميع المراحل منذ الولادة، وكانت التربية تهدف إلى إعداد المواطن للدفاع عن الدولة عن طريق تزويدهم لكمال الجسماني والشجاعة والطاعة العمياء للقانون.

– عند ولادة الطفل يعرض على شيوخ الدولة ليقرروا صلاحيته للحياة أو الموت، فإذا وجدوا فيه ضعفا تركوه عاريا في الجبال ليموت، وقد يلتقطه العبيد ليربوه، وإذا رأوا صلاحيته أعادوه إلى أمّه لتربيته تربية خشنة ليشبّ على القوّة والشجاعة.

– في سنّ السابع يرسل الأطفال إلى المعسكر، حيث يقسّمون إلى مجموعات، تتألّف كل واحدة من (64) طفلا يؤمّر عليهم أشجعهم وأطلعهم على قوانين المعسكر، وكانوا يحيَون حياة خشنة ليتعوّدوا على الصبر وظروف الحرب، ويمارسون مختلف أنواع الرياضات كالجري وركوب الخيل والسباحة والقنص...ثم المصارعة... وكانت تربيتهم تخلو من التربية العقلية والثقافية باستثناء الاشعار الحماسية.

– في سن 18 سنة يلتحق هؤلاء الشباب بفرقة الأفيبي **(Ephebi)** أي الطالب الحربي، حيث يتدرّبون على الفنون واستخدام الأسلحة.

وفي سن العشرين يلتحق الشباب بصفوف الجيش ليمارسوا الحرب.

وفي سن الثلاثين يصبح الشاب الاسبرطي مواطنا يستوفي جميع حقوقه، ويطلب منه إن يتزوّج استكمالا للمواطنة وإسهاما في شؤون الدولة.

– أمّا البنات فقد عهدت تربيتهن إلى الأمهات، وهنّ يخرجن حافيات ولا يستر أجسادهن إلا ثوب واحد، ويخضعن أيضا للتدريبات الرياضية كالجري والسباحة وحتى المصارعة، وكان من رأي المشرّع ليكرجس تطهيرهنّ من كلّ صفات الأنوثة والحياء، ولكن بعد الزواج تلتزم المرأة ببيتها معظم الأوقات في انتظار عودة زوجها.

---

[2]–هو أشهر شعراء اليونان كتب الملحمتين الخالدتين الأوديسا والإلياذة، الإلياذة فيها 16 ألف بيت كتبها في عنفوان شبابه " تَحكي قصة انتصار اليونان على طروادة بفكرة لا حصان طروادة" وفيها الكثير من أساطير الشجعان والخرافات.

– منحت المرأة الاسبرطية بعض الحقوق من حريّة الخروج والإرث.. ولم تكن هذه الميزة وليدة تشاريع قانونية وإنّما كانت سبب وضع المدينة الحربي وخروج الرجال لخوض المعارك.

– ثمّ تغيّرت أوضاعها في آخر مراحل الدولة اليونانية بشكل جذري حيث خرجت عن عزلتها واختلطت بالرجال في النوادي وانتشرت دور البغايا وأُعتبرت مراكز للسياسة والأدب.

– لقد ضحّت الدولة الاسبرطية بالفرد، فهي تمتلكه من ساعة مولده ليكون مدافعا وحاميا لها، وقد هيمنت الدولة تماما على التربية.

– **تقييم** : في محاولة لتقييم التربية الاسبرطية نجد أنّ الخضوع للقوانين خضوعا أعمى ساد حياة الاسبرطيين، وكان من نتيجة هذه التربية العسكرية أن طبعت الافراد بخصال كانت سببا في فشلهم فيما بعد، فقد عُرف عن الاسبرطيين أنّهم لم يتعوّدوا الاعتماد على النفس، كما أنّ قدرتهم على التفكير أو التخيّل كانت محدودة، وأنّهم لم يتعوّدوا مواجهة المشكلات ومواجهتها بتعقُّل و روية، فلم يُعط الاسبرطيون الفرصة لتحمّل مسؤولياتهم بل أنّ الدولة وجهتهم في كلِّ شيء فلم يكن عليهم إلاّ الانصياع إلى الأوامر، وأدّت هذه التربية إلى قحط في التراث الفكري وانهيار الحريّة.

– **التربية الأثينية** :

– كان المجتمع أثيني طبقي متكون من: طبقة الأحرار – والأجانب – والعبيد.

لم يكن للأجانب حتّى في الاشتراك في الحكومة ولا تملّك الأراضي وعليهم دفع ضريبة سنوية للدولة.

– كان الأثينيون يعتبرون أنفسهم أعرق شعوب العالم وأكثرهم ثقافة، ولقد ساعدهم على تقدّمهم العامل الجغرافي والمناخي.

– لم تتبّع أثيناُ أسلوب اسبرطة العسكري في التربية، فكان هدف التربية الأثينية تكوين الرجل الكامل جسما وعقلا وخلقا.

– قدّس المجتمع الأثيني الأسرة ووكل إليها تربية الطفل على أن تكون تربية متكاملة من الناحية البدنية والروحية والثقافية.

– في سن السابعة تبدأ الحياة المدرسية الأولى، وتستمّر حتى سن 16 سنة، وكان اليوم الدراسي يقسّم قسمين:

**1**– الباليسترا (الجمباز): ويتمرّن في على جميع الرياضات المعروفة.

**2**– الديداسكاليون (الموسيقى): ويعنون بها دراسة الأدب والقراءة والكتابة والحساب والأخلاق...

كان يرافق التلاميذ في المرحلة الأولية عبد مسّن يسمّى البيداغوج **Pedagogue** يقوم بتقويم أخلاقهم ومراقبتهم في جميع سلوكياتهم وهم صلة عائلاتهم بالمدرسة.

– في سن 16 سنة تصبح مراقبة هؤلاء الشباب من واجب الحكومة فيمارسون مختلف الرياضات ويخالطون الراشدين للتعلّم من تجاربهم وخبراتهم.

- في سن 18 سنة يدخل الأثيني في عداد المواطنين الأحرار ويؤدّي يمين الولاء لدولته ويتمرّن على فنون الحرب ومعيشة الجندية واستخدام جميع أنواع الأسلحة والفنون التكتيكية لمدة سنتين.
- كانت التربية في أثينا مقتصرة على الذكور فقط والأحرار منهم، وأمّا البنات فكنّ لا يخرجن من البيت إلاّ لحاجة ماسّة مع حراسة عبد لها، وكانت المرأة الأثينية تلبس لباسا طويلا وتستر وجهها، ولم يسمح لها إلاّ بتعلّم الفنون المنزلية والاهتمام بمظهرها، وقد حرمها القانون من حقّها في الإرث ومنعها من طلب الطلاق[3].

- **تقييم:** من خلال تقسيم المجتمع إلى: أحرار، أجانب وعبيد فنلحظ أنّ التربية (الفنون العقلية) اقتصرت على طبقة الذكور الأحرار، والجوانب المهنية على غير الأحرار( الزراعة، الحرف...) فالكسب المادي صفة للعبيد، والاستمتاع الفنّي صفة للأحرار.
- إنّ التربية في أثينا لم تكن حقّ لجميع الناس في المجتمع بل كانت زينة للأثيني الذكر الحرّ وأمّا النساء والأجانب والعبيد فلم يكن لهم الحقّ فيه.
- لذلك نستطيع أن نقول أنّ أسس التربية الأثينية لم تكن ديمقراطية (تكافؤ الفرص التعليمية للجميع) بل هي تربية أرستقراطية(خاصة بفئة من الناس).
- نظر الأثينيون إلى الشعوب المجاورة على أنّهم برابرة لا يدانونهم في التطور والرفعة...في حين نعلم من خلال التاريخ وجود حضارات شرقية أعظم أمدّتهم بالعقائد والأفكار ومختلف العلوم.

**3- عصر الانتقال:** في هاته المرحلة نشأت تربية جديدة أدّت إليها عوامل سياسية وأدبية واقتصادية تمثّلت في ظهور معلمين فلاسفة أطلق عليهم اسم" السفسطائيين".

أصل هذا اللفظ "سوفيسطوس" وهو معلم البيان، و"سفسط" بمعنى غالط وأتى بحكمة مضلّلة.

و كانوا يدرّسون الحساب والهندسة والفلك والتاريخ والنحو والموسيقى وفنون الحرب ويركّزون على البيان...

في هذه الفترة شاع الجدل السياسي والقانوني في اليونان ممّا دفع أصحاب السلطة إلى إستغلال مواهبهم في الجدل والخطابة لكسب الأموال وقد حاربهم وناظرهم الفلاسفة المحافظين كسقراط وأفلاطون.

**4-** التربية في العصر العالمي: تتميّز التربية في هذا العصر بانتشار الثقافة اليونانية في كلّ أقطار العالم المعروفة، ومن أبرز مدارسها مدرسة أفلاطون 376 ق.م، ومدرسة أرسطو335 ق.م، ثمّ مدرسة زينون، فمدرسة أبيقور، ثمّ توحّدت هذه المدارس وشكّلت جامعة أثينا التي استمرّت حتّى عهد جوستينيان حيث أغلقت عام 529 م أثر إنتشار الديانة المسيحية.

- **أفلاطون: (427 – 347 ق.م)**

---

[3] – كان الحجاب في أثينا مفروضا على الحرائر ومرفوعا عن الإماء والبغايا، وكان الزوجان لا يريان بعضهما حتى ليلة الزفاف ولاتستقبل المرأة أحداً إلاّ من أقاربها من النّساء أو أقارب زوجها.
ونادى كثير من الفلاسفة في اليونان بإعطاء المرأة حقّها وبضرورة نزع الحجاب عنها، ووجوب تعليمها، وأن تكون المدارس مشتركة بين الجنسين لأنّه أدْعَى إلى التعايش بينهما إعدادا للحياة الزوجية.

أفلاطون Plato اسم يعرفه الخاص والعام في كلّ ثقافات العالم، اِسمه أرسطو قليس ولقبه أفلاطون أي الضخم، من أهم العوامل التي أثرت في فكره:

– نشأ في أسرة أرستقراطية، واِستناداً إلى التقاليد اليونانية فإنّ التعليم الجيّد كان مقتصراً على هاته النخبة.

– درس أفلاطون على يد سقراط، واِستفاد منه كثيراً.

– مقتل أستاذه بسبب أفكاره (بالسّم) ممّا جعل أفلاطون يعادي الحريّة السياسية.

– اِحتكاكه ببلاد كثيرة مثل ايطاليا ومصر...حيث عاش 13 سنة خارج أثينا، فساهمت أسفاره في نموّ أفكاره.

– الحروب التي كانت بين أثينا واِسبرطة (25 سنة)، شهد أفلاطون منها 21 سنة، فرغم اِتّحاد التاريخ واللّغة والدين – إلاّ أنّ المصالح الاقتصادية والسياسية كانت أشدّ تأثيراً ممّا أثّر في فلسفته ككل.

– اِطلاعه على فلسفة الشرقيين في الهند وفارس وتأثّره بالحضارة المصرية خاصة من حيث تجسيد الحقائق العلمية والنظرية في الحياة الاجتماعية (كان الهدف من التربية المصرية دينياً ومهنياً) وكذا من حيث النظام التعليمي إذ تتلمذ في جامعة عين الشمس القديمة هي مصر، ويظهر أيضا ذلك في نظرته إلى الدِّين، فهو يؤمن بإله واحد يجزي ويجازي (يعاقب)، وبأهميّة الدين في تربية الأطفال.

– **نظرية أفلاطون التربوية:**

– بنى أفلاطون نظريته على أساس نظرة للمجتمع العادل المثالي حيث يوضع فيه كلّ فرد في مكانه المناسب.

– يرى بأنّ النّفس البشرية مكوّنة من قوى تقابل ما يوجد في المجتمع من طبقات.

1– **القوة العاقلة:** مكانها الدماغ، فضيلتها الحكمة، وهم طبقة المفكّرين والفلاسفة.(الحكاّم)

1– **القوة الغضبية** : مكانها القلب، فضيلتها الشجاعة، وهم طبقة الجند.

2– **القوة الشهوانية:** مكانها البطن، فضيلتها العفّة، وهم طبقة العمّال والفلاحين.

ولم يفرّق أفلاطون فيها بين الرجال والنّساء.

وفي محاولة منه لفكّ الحصار الطبقي الذي كان يفرضه المجتمع اليوناني القديم على من فيه، فجمهوريته فيها الطبقات مفتوحة لمن تؤهّله قدراته على اِجتياز مراحل التعليم.(وهذا ما كان في المجتمع المصري القديم).

– ويكون نظام التربية الأفلاطوني عبر المراحل التالية:

- ***سن ما قبل السادسة*** يصف لهم القصص والتسلية والتربية الجسمية وهي مرحلة الحضانة.
- ***6 – 18 سنة:*** التربية الأخلاقية لضبط النفس وشهواتها، ومعرفة مبدأ الصواب والخطأ، والإيمان بإله واحد، والثواب والعقاب(وهاته الفكرة استوعبها من الديانات السابقة)، وتعلّم القراءة والكتابة والحساب والموسيقى.
- ***18 – 20 سنة:*** التدريبات العسكرية.
- ***20 – 30 سنة:*** يتعلّمون الرياضيات والهندسة والفلك.
- ***30 – 35 سنة:*** يتعلّمون الفلسفة والقانون والجدل.

- ***35 – 50 سنة:*** الانشغال بالحكم، فمن ينجح في مراحل الدراسة السابقة يُعيّن في وظائف حكومية.
- ***50 سنة:*** الاعتزال وصياغة النظريات الفلسفية، ففي هاته السن يصل إلى مرحلة تفهم الأسرار والإرادة والمشيئة الإلهية، ويكون أقدر الناس على العدل ونشره.

- هدف التربية عند أفلاطون هو إعداد الإنسان ليكون مواطنا صالحا، فقد أُثِر عليه قوله:" لم يولد الإنسان لنفسه، وُلِدَ الإنسان لوطنه".

– كانت الفلسفة عند أفلاطون منهج حياة، ولم تكن مقيّدة بالكتب والمحاضرات.

– أشار أفلاطون في كتابه (الجمهورية) إلى فكرة شيوعية النّساء والأولاد، وتخيّل وجود مدينة فاضلة يرأسها فيلسوف، ( ولكنّه رجع عن هذه الفكرة فيما بعد).

– أهمل أهميّة القانون في حياة الشعب، (ولكنّه تراجع عن هذه الفكرة )، وفيه خيال وإغراق في المحال إذ لا تستطيع الفلسفة وحدها أن تقود للعدالة الاجتماعية.

– حذَّر أفلاطون الحاكم من السُكر والأخلاق الوضيعة.

– كان يرى أنّ النّساء أقّلُ اِتقانا للعمل من الرجال إلاّ في الأعمال المنزلية، وهو ميزان هشّ "النّساء شقائق الرجال"، فهم متساوون إلاّ فيما اِختصَّ به كل جنس عن الآخر بالفطرة.

– عندما رجع أفلاطون إلى أثينا بعد رحلته أسّس مدرسته(الأكاديمية)، وقد ساهمت الأكاديمية في الحفاظ على آثاره ومنهج تعليمه القائم على الحوار والمناقشة والمناظرة والشرح، وظلّت لمدّة 9 قرون مفتوحة للراغبين في الدراسة، وكانت تدرّس الرياضيات والفلك والطّب والأخلاق والموسيقى.(وجاءت كلمة أكاديمية من اِسم رجل يوناني هو أكاديموس وكان بطلا قوميا، قامت الأكاديمية على مزرعته).

– من أقواله: أضعف الناس من ضَعُفَ عن كتمانه سرَّه، أقواهم من قوِي على غضبه، وأغناهم من قَنَع بما يسِّر له)، ( العلم مصباح النفس ينفي عنها ظلمة الجهل، فما أمكنك أن تضيف إلى مصباحك مصباح غيرك فافعل).

( لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده فإنّ الناس لا يسالون في كم فرغ من هذا العمل وإنّما يسألون عن جودة صنعه).

( لا تصحب الشرّير فإنّ طبعك يسرق من طبعه شرًّا وأنت لا تدري).

(ما معي من فضيلة العلم إلاّ علمي بأنّي لست بعالم).

( ليس ينبغي للرجل أن يشغل قلبه بما ذهب منه ولكن يقتني بحفظ ما بقي عليه).

( وسُئِل ممّا ينبغي أن يحترس؟! فقال من العدّو القادر والصديق المكدّر، وعن أيّ شيء أنفع؟!فقال أن يُعنى بتقويم نفسه أكثر من عنايته بتقويم غيره).

( أُطلب في حياتك العلم والمال والعمل الصالح فإنَّ الخاصة تفضّلك بما تحسن، والعامة بما تملك، والجميع بما تعمل).

## 4-2-2 التربية الرومانية:

### - لمحة تاريخية واجتماعية:

سكنت ايطاليا في العصور القديمة قبائل كثيرة ينتمي معظمها إلى ثلاثة أجناس رئيسة. وأهم هذه الأجناس الثلاثة: الإيطاليون، وهم في الأصل قبائل آرية نزحت عبر جبال الألب فى وسط ايطاليا واستقرت على شاطئ نهر التيبر، ومن أشهرها القبائل اللاتينية (Latins) وغيرها. أم الجنس الثاني فهم الاترسكانيون (Etrucans) وأصلهم غير معروف، يرجّح أنهم نزحوا من آسيا الصغرى، والجنس الثالث هم اليونانيون الذين نزحوا من اليونان وسكنوا صقلية وجنوب ايطاليا حوالي القرن الثامن قبل الميلاد. ومن اختلاط هذه الأجناس جميعا تكون الشعب الروماني.

وعندما استقرت القبائل في ايطاليا أسسوا ما يسمى بالدول المدينة كاليونان، وكان أبرز هذه المدن مدينة روما، وقد أسست عام 752 ق, وفي حوالي عام 509ق.م خلع آخر ملك لروما، وثارت طبقة الشعب حوالي عام 494 ق.م لعدم وجود ممثلين لها في روما، ومعاناتها من سوء المعاملة والاضطهاد، ورفضوا الاشتراك في الجيش حتى تلبي مطالبهم. ودام كفاحهم حتى وضعت القوانين العشرة عام 451 ق.م، وأضيف لها قانونان فأصبحت اثني عشر قانونا استجابت لكثير من مطالبهم. ودام كفاح روما وحروبها مع القبائل المجاورة قرنين من الزمان استطاعت في نهايتهما بسط سيادتها على كل إيطاليا، ثم بدأت بالتوسع إلى الخارج تدريجيا حتى ضمت معظم العالم القديم، ووصلت ذروة اتساعها في القرن الأول الميلادي في عهد أغسطس قيصر. وفي عام 295م انقسمت إلى إمبراطوريتين إحداهما الإمبراطورية الرومانية الغربية وعاصمتها روما التي سقطت على يد الجرمان عام476م، والثانية الإمبراطورية الشرقية وعاصمتها القسطنطينية التي سقطت عام 1452م على يد محمد الفاتح العثماني.

أما من الناحية الاجتماعية فقد تكون المجتمع من طبقتين: النبلاء وعامة الشعب، وكان الحكم ملكيا، وفيه يتم انتخاب الملك عن طريق مجلس الشيوخ (Senate) ثم أصبح نظام الحكم جمهوريًا يرأسه قنصلان، وبعد ذلك إلى النظام الإمبراطوري.

لقد كانت ديانة الرومان وثنية، عبروا عن الآلهة بتماثيل أقاموها في المعابد تمثل مظاهر الحياة المختلفة, و كانت آلهتهم قوى خفية لا ترحم ولا تعرف الشفقة، و اهتم الرومان باكتساب رضاها بإقامة المراسم المهيبة الجليلة عكس اليونان تمامًا،

## -عصور التربية الرومانية

مرت التربية الرومانية بأربعة مراحل متسلسلة هي:

### – المرحلة الأولى(753-650ق.م): عصر المواطنين أو عصر التربية الرومانية الأولى:

**لا** يوجد في أوائل هذا العصر مدارس يدخلها الطفل، وإنما كان البيت المعهد التهذيبي الوحيد، فكانت الأم تتعهد الطفل منذ صغره وتشرف على تربيته ولا تلقى بذلك إلى المرضعات أو المربيات كما هو الحال عند اليونان، فإذا أصبح غلاما تعهده أبوه. وكان الطفل يصاحب أباه في العمل، ويقف بجانبه على منصة الخطابة، ويذهب معه إلى المعسكر وأي مكان آخر. وكانت التربية خلقية والنظام قاسيًا. وفي أواخر هذا العصر ظهرت المدارس الأولية وتعرف باسم (Ludi) ومعناها اللعب، وكانت قليلة العدد، وغايتها تعليم القراءة للتمكن من حفظ الألواح الإثني عشر. وأصبحت هذه المدارس تهتم بتعليم القراءة والكتابة والحساب بالإضافة إلى حفظ الألواح الإثني عشر.

### – المرحلة الثانية: وهي مرحلة الانتقال:

ويتميز هذا العصر باتساع رقعة الدولة مما يتطلب تطلعات أوسع في أفقها من تطلعات روما المدينة المحدودة المساحة، وكان لابدَّ من ظهور مدارس ذات صبغة شكلية وتبعت هذه المدارس النمط الإغريقي، وكانت بداية ظهورها 300 ق.م.

وفي هذا العصر دخلت المبادئ والأفكار والعادات اليونانية إلى روما تدريجياً من أوساط القرن الثالث قبل الميلاد إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، وفي أوائل هذا العصر كثر عدد المدارس الأولية (مدارس الأدب). كما تم نقل الأوديسا إلى اللاتينية وأصبحت تدرس في مدارسها الأولية. ثم دخلت مدارس النحو ومدارس الخطابة اليونانية إلى روما. ولكنها لم تنتشر الانتشار الكافي. وأخيرا تحولت هذه المدارس إلى مدارس لاتينية، إلا أن مجلس الشيوخ أمر بإغلاق المدارس وطرد المعلمين.

أما عن تنظيم المدارس فكانت هناك:

- **المدرسة الابتدائية Lodus:** ويذهب إليها الأطفال من بين السابعة إلى الثانية عشر لتعلم القراءة والكتابة والحساب وألواح القانون الاثني عشر.
- **المدرسة الثانوية Grammer school:** أنشأها الإغريقيون بعد عام 300 ق.م لتعليم اللغة والأدب، وكان التلاميذ يدخلون المدرسة الثانوية من حوالي سن الثانية عشرة، ويستمرون بها مدة أربع سنوات تؤهلهم للدراسات العليا.

- **مدارس البلاغة Rhetorical School:** وكان الطلبة يدخلونها في سن السادسة عشر ليدرسوا فنون الخطابة، وتأثرت هذه المدارس بآراء سقراط وأرسطو ثم بآراء شيشرون وكونتليان. وكان الطلبة يتدربون على الخطابة ومعالجة المشاكل بالمنطق والبرهان، ويدرسون الموسيقى والتاريخ والفلك والرياضيات والرياضة البدنية لضمان رشاقة الحركات الجسمية والإشارات اليدوية في الخطابة.

وكانت هذه المدارس خاصة حيث يدفع التلاميذ المال مقابل التحاقهم بها.

- **المرحلة الثالثة: مرحلة المعاهد الرومانية (50ق.م- 200م):**

أصبح نظام المعاهد في هذا العصر وطيد الأركان، وازداد الإقبال على الثقافة اليونانية. وعلى الرغم من ذلك فإن المدارس الأولية (الأدب) لم تتغير حيث كانوا يعلمون فيها مبادئ القراءة والكتابة والحساب بصورة بسيطة جدا أو يدرسون فيها الأوديسا (اللاتينية) عوضا عن اللوائح الاثني عشرة التي كانت تدرس سابقا. أما مدارس النحو التي عاكسها مجلس الشيوخ في العصر الماضي فإنها أصبحت رسمية، وقد كانت على نوعين أحدهما للنحو اليوناني والثاني لتعليم النحو اللاتيني. وكانت هذه المدارس تعلم النحو الذي كان يشمل في نظرهم دراسة الأدبيات والتاريخ والعلوم. وكانت غاية هذه المدارس هي إتقان القراءة البليغة والإنشاء الحسن المتين. أما مدارس الخطابة عند الرومان فكانت بمثابة مدارس السفسطائيين لليونان، غايتها تدريب الشاب الروماني الذي أنهى المدارس الأولية ومدارس النحو على الخطابة والإلقاء، فلا يدخلها إلا الذين ينوون الأشغال السياسية أو المحاماة أو الذين ينتمون إلى طبقة الأعيان. وبالإضافة إلى تدريس الخطابة فقد كان الشاب يدرس الهندسة والفلك والفلسفة والموسيقى. وقد وصف كونتليان المربي الروماني الخطيب بأنه من تتوافر فيه الشروط التالية: معرفة العلوم وإتقان اللغة وحسن اختيار الألفاظ، ودرس العواطف البشرية وكيفية إثارتها، ورشاقة الحركات ومعرفة الشرائع وحسن الإلقاء والمحافظة الجيدة، وأهم من ذلك يجب أن يكون الإنسان فاضلا شهما حتى يكون خطيبا مجيدا.

وعندما أصبحت الديانة المسيحية دين الدولة الرسمي في أواخر القرن الرابع الميلادي ظهر نوع جديد من المدارس يسمى المدارس المسيحية، ويلتحق به الطلاب ما بين سن الثامنة عشرة والعشرين، وفيها يتعلمون تعليما عالياً في المعتقدات واللاهوت المسيحي.

- **المرحلة الرابعة: وهي مرحلة التدهور والانحطاط (200م-529 م):**

اتسم هذا العصر بالفساد والانحلال، فقد استبدت الحكومة الملكية وجمعت السلطة في يدها. واستنزفت ثروات الشعب وفسدت طبقة الموظفين إلى أبعد مدى، ولم يتورع القضاة عن قبول الرشوة، وفرض الجيش الضرائب النقدية والعينية لتسليح جيش كبير. وبالغ موظفو الضرائب في جباية الضرائب، وزادت الطبقة الارستقراطية الفاسدة، وتقلصت الطبقة المتوسطة، وقل عدد المزارعين، وتركت الأرض بلا استغلال، وكثر الجنود المرتزقة. وقد انعكست

مظاهر الفساد والانحلال على التربية والتعليم، فتغلبت النواحي الشكلية. إذ أصبح البيان والبلاغة أهدافا لا وسائل، وطغى المظهر على المضمون، فكان التلاميذ يرصون الكلمات المنمقة ويتخيرون الغريب الشاذ منها على حساب المعنى، واقتصر تعلم الأخلاق على حفظ حكم ومواعظ وكتابة موضوعات إنشائية عن الأخلاق.

ويبدو أن المدارس الأولية قد اختفت في هذه المرحلة من تاريخ التربية الرومانية وهذا راجع إلى حالة البؤس والذل اللذين وصلت إليهما طبقة الشعب التي كانت تدخل هذه المدارس، أما مدارس النحو والخطابة فقد استمرت بصورة شكلية يتعلم فيها أبناء الطبقة العليا. وفي عهد القياصرة سيطرت الدولة سيطرة كاملة على التربية، وبلغت هذه السيطرة مداها في عهد الإمبراطور جستينيان المسيحي عام 529م عندما أصدر أمرا بإغلاق جامعة أثينا الوثنية.

وقد برز عدد من المربين الرومان ومن أشهرهم شيشرون وسنيكا وكونتيليان. وأبرز هؤلاء المربى الروماني كونتيليان (35–95 م) الذي ولد في اسبانيا، ثم قدم روما ودرس فيها. فنبغ في الخطابة وتعاطي المحاماة مدة ثم تركها، وأسس مدرسة فيها تولى إدارتها بنجاح مدة عشرين سنة، ومنحه الإمبراطور فسبازيان لقب أستاذ الخطابة، وكتابه الوحيد (أسس الخطابة) أو (المؤسسة الخطابية) يحتوي على آرائه التربوية وأهمها: عدم ضرب الأطفال لأن الضرب للعبيد، وأن تكون المرضعات من خيار النساء أدباً وطهارة، وأن يكون المدرس من ذوي الاقتدار في فرعه، وأن يتعلم الطفل منذ الصغر لغة أجنبية، وأن يتعلم كذلك صور الحروف الهجائية وأسماءها في الوقت نفسه، وإرسال الأطفال إلى المدارس العامة للاحتكاك بالأطفال الآخرين، واعتبار فن الخطابة أسمى الفنون، واعترف بوجود الفروق الفردية بين الأطفال، وطالب بالتبكير في تعليم الأطفال، والاهتمام بطريقة الحفظ والتقليد في التدريس.

وبعكس ما كانت تؤمن به التربية القديمة الشرقية كانت التربية عند اليونان والرومان تؤمن بالتجديد والابتكار، ونمو الفردية الإنسانية.

## 3–التربية المسيحية في العصور الوسطى:

### – لمحة تاريخية:

من أهم الملامح البارزة للعصور الوسطى والتي كان لها دور كبير في التربية ما يلي:

أ. **النظام الإقطاعي:** بدأ هذا النظام بالظهور في أوروبا في القرون الستة الأولى التي عقبت موت (جستنيان 565 م) حين أخذ ملوك الفرنجة يؤجرون الأراضي الواسعة للقادة والموظفين الإداريين. تلك الأراضي التي ما لبثت أن أصبحت في القرن التاسع وراثية عندما ضعف الملوك. وكان هذا النظام يتألف من الأحرار وهم الإقطاعيون،

ورقيق الأرض وهم الذين كانوا يفلحون مساحة من الأرض يمتلكها سيد أو بارون. وقد اختلفت أوضاع الرقيق من بلد إلى آخر في أوروبا ما بين سيد يحق له بيع الرقيق مستقلا عن الأرض أو معها، أو لا يحق له إطلاقا إذ بإمكان الرقيق أن يحل العقد، أو لا يمكنه ذلك إطلاقا. وكان تأجير الأرض للرقيق يتم لقاء عدد من الواجبات على الرقيق القيام بها للمالك.

ب. **البابوية:** بعد تقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى شرقية وغربية، تمكن الأباطرة الشرقيون من تسلم زمام السلطتين الدينية والدنيوية. أما في القسم الغربي فقد كانت الكنيسة أسقفية بابوية لها السيادة العليا على الكنيسة في مختلف بلدان العالم وفي القرن الرابع، في عهد قسطنطين، بدأت الوثائق تشير إلى أسماء الباباوات الذين لعبوا دورا مهما في توجيه سيادة الكنيسة مثل:(داما سوس366–384م) وخليفته (سركيوس384– 399م) الذي ترجع إليه أولى المراسيم البابوية، وبعد ذلك جاء البابا(ليو العظيم 440–461م) الذي تم في عهده الاعتراف بسيطرة البابوية على جميع الكنائس في الغرب. وفي عهد البابا جري جوري الأول (590–604 م) دانت الكنيسة الغربية بأكملها لنفوذه.

ج. **الرهبنة أو الديرية:** تطلق الرهبنة على الأفراد الذين قطعوا عهدا على أن يتنسكوا في الأديرة طيلة حياتهم تقيدهم قوانين خاصة. وكانت لهذه الأديرة أهمية في تاريخ التربية لأنها كانت المعاهد التهذيبية الوحيدة في الغرب المسيحي في العصور الوسطى. وكانت التربية في هذه الأديرة تشمل بالإضافة للأبحاث الدينية علومًا وفنونا نظرية وعملية، وكان لها تأثير على النهضة الأوروبية.

وقد عرف التنسك قديماً في فارس ومصر، وفي عقائد العبرانيين القدماء، وكانت الرهبنة معروفة عند المسيحيين في مصر وسوريا وقبرص وآسيا الصغرى ثم انتقلت إلى الدول الأوروبية، ويعتبر القديس بطرس الطيبي وانطونيوس أول مثليين للرهبنة في المسيحية. وفي أوروبا يعتبر القديس بنديكت المنظم الحقيقي لها وواضع قوانينها المشهورة وذلك عام 529م.

د. **الفروسية:** نشأت الفروسية مع النظام الإقطاعي، حيث كان الملك والبارون واللورد مالك الأرض يدخلون في عداد الفرسان. وقد تحول تنظيم الفروسية إلى نظام تربوي يمد الطبقات الراقية بنوع من التربية التي سادت من القرن السابع إلى القرن الخامس عشر. ونظام تربية الفارس يمر في مرحلتين: المرحلة الأولى وهي تربية الغلام من سن سبع سنوات إلى الرابعة عشرة إلى الحادية والعشرين حيث يتعلم مبادئ الحب والحرب والدين يرافق الفرسان. وبعد ذلك تنظم الكنيسة احتفالا دينيا يقسم الفارس خلاله على دفاع عن الكنيسة وحماية النساء والفقراء والمحافظة على أمن البلاد.

هـ. **الحروب الصليبية:** وتعتبر من أهم الحركات التي أثّرت على مجرى الأحداث في العصور الوسطى، واختلفت الآراء في تفسير أسبابها من اقتصادية ودينية وتوسعيه استعمارية، وتمتد من عام 1096م–1291م. وكان أبرزها

ثماني حملات أربع منها اتجهت نحو الأراضي المقدسة وهي الأولى والثانية والثالثة والسادسة واثنتان ضد مصر (الخامسة والسابعة) والرابعة كانت ضد القسطنطينية أما الثامنة فاتجهت إلى شمالي إفريقيا. وقد أدت هذه الحروب إلى احتكاك الغرب بالمسلمين والاستفادة من حضارتهم التي كانت عاملاً من عوامل النهضة الأوروبية.

و. **الجامعات:** لقد تطورت الحركة الفكرية في أوروبا في أواخر القرن الحادية عشر لأسباب عديدة مما أدى إلى ظهور الجامعات. ومن هذه الأسباب الحروب الصليبية، واحتكاك الشرق بالغرب، وانتشار الحضارة العربية في أوروبا عن طريق الأندلس، وتحسن الأحوال التجارية والاقتصادية في المدن الايطالية. فتأسست أول جامعة غربية في سالرنو في ايطاليا بالقرب من نابولي عام(1050م)، ثم جامعة نابولي في شمال ايطاليا، فجامعة باريس عام1180م، وتعاقب افتتاح الجامعات في مختلف أنحاء أوروبا، وكانت اللاتينية لغة التدريس فتتلخص في أن المدرس يقرأ النص الموجود في كتابه وكتب الطلاب، ثم يقرأ الشروح في هوامش كتابه ويدونها للطلاب. ومنذ القرن الرابع عشر تحولت إلى طريقة المحاضرات الحالية. وكان إنشاء الجامعات من العوامل التي مهدت للنهضة الكبرى.

## -الديانة المسيحية وأثرها على التربية:

رغم الآلة الحربية الجبارة للرومان وثرواتهم المادية، والثقافية الذهنية اليونانية التي سادتهم إلاّ أنَّ انحلالا روحيا انساب إلى نفوسهم، ومَهَّدَ هذا الوضع إلى الديانة السماوية الجديدة التي سيعتنقها الرومان مع مرور الوقت شيئا فشيئا.

إن تعاليم المسيح المشحونة بالأخلاقيات وخاصة المساواة بين الناس في عصر سادت فيه طبقية مقيتة حيث فتحت أبواب التعليم أمام كل الأطفال بغض النظر عن انتمائهم وجنسهم ومستواهم الاجتماعي، ولقد أعطت المسيحية مفاهيم جديدة للعدالة الاجتماعية كنبذ الطبقية، وحاولت إصلاح المجتمع الوثني والاستدراك عليه فحرمت وأد الأطفال وهاجمت بشدة اِحتفالات المصارعة الدموية التي طبعت المجتمع الروماني، وأكدت على أهمية التسامح والتضحية.

لقد قوبل الدين المسيحي الجديد في بداية الأمر بمعارضة شديدة من قبل الحكام واضطهاد لمعتنقيه، وبقيت الحال كذلك حتى مطلع القرن الرابع الميلادي في عهد الإمبراطور قسطنطين حيث أصدر قراراته التي أصبحت المسيحية بموجبها من الأديان المعترف بها داخل الإمبراطورية، وبدأت الثقافة الوثنية في التدهور والانحلال، وأصبحت الثقافة المسيحية هي السائدة، وبقيت الكنيسة قرونا طويلة هي المؤسسة الوحيدة التي تقود المجتمع وتسيره، ولقد عرفت المسيحية أنواعا مختلفة من المدارس:

أ. **مدارس تعليم المبادئ المسيحية:** وكانت تتخذ الكنائس مقرا لها، وكانت تستقبل أبناء المسيحيين والراشدين من اليهود والوثنيين الذين اعتنقوا المسيحية، وكان التهذيب بهذه المدارس تهذيبا عقليا وخلقيا مع اهتمام واضح بالموسيقى.

ب. **مدارس الحوار الديني:** وهي مدارس أرقى من المدارس السابقة، وكان لابد للقساوسة المسيحية وزعماء الكنيسة من الإلمام بتاج العقل اليوناني حتى يستطيعوا النقاش مع مدارس الفكر اليونانية، ثم أنشئت مدارس الكاتدرائية متبعة نظام المدارس الحوارية، وتطورت واتسعت وتوطدت مكانتها خاصة بعد إعلان المسيحية دينا رسميا لروما.

ولكن كان بعض رجال الكنيسة في العصور المسيحية الأولى من المتعاطفين مع الآداب الوثنية التي كانت سائدة قبل مجيء المسيحية، نظرًا لدراستهم، إلا أنها ما لبثت أن تدهورت دون أن تنشئ الكنيسة غيرها، مما أدى إلى انتشار الجهل، وضعف الفكر عامة والتربوي خاصة، وقد بدأ ذلك في القرن الرابع الميلادي، وذلك لكثرة الحروب المستمرة، والتي لم تترك مجالا للشؤون الثقافية والتربوية، ولطبيعة الديانة المسيحية الصوفية في بدايتها، ولحرمانها الناس من تذوق الثقافة والفكر، وفقدان اللغات القديمة، وندرة الكتب الدراسية. وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن انزوى الفكر في بعض الأديرة وعمّ الظلام في العصور الوسطى، ولكن على الرغم من ذلك لم يَخلُ الأمر من نزعات وحركات علمية مهدت لقيام النهضة الأوروبية الكبرى.

## -نهضة شارلمان (771-814م) أو حركة إحياء العلوم الأولى:

يعد شارلمان أول من بعث الحركة المدرسية وأنعش الوضع الفكري والخلقي للشعوب التي كان يحكمها، فقد أنشأ المدارس، واستعان بأساتذة من إيطاليا وانجلترا لعدم وجود مثقفين في ذلك الوقت بين الفرنجة، ومن أشهرهم بطرس دوبيز، والكوين الذي كان ساعد شارلمان الأيمن، والذي يمكن اعتباره أول وزير معارف عرفته فرنسا. فقد أسس مدرسة القصر التي تعلم فيها شارلمان وأبناؤه وبناته وغيرها من المدارس الأخرى. وكانت طريقة التدريس تقوم على الطريقة الحوارية، أمّا النظام فيها فكان قاسيا وشديدا حيث كان المدرسون يلجئون إلى استعمال الضرب، وهذه النهضة التي أنشأها شارلمان انتهت بعد موته، فأغلقت المدارس واستعاض عنها أتباعها ببناء القلاع والحصون، وأبرز أتباعه هو جيربير دورياك الذي درس الثقافة العربية لمدة ثلاث سنوات في إسبانيا ثم ترقى في السلك الكنسي حتى أصبح بابا باسم سلف ستر الثاني 1003م.

## -النهضة الثانية أو الحركة المدرسية:

يطلق هذا الاسم على الحركة الفكرية التي سادت أوائل القرن الحادي عشر إلى أواخر القرن الخامس عشر ودعيت بالفلسفة المدرسية، ولهذه الحركة غايتان:

- **الأولى:** عامة وتتمثل في الدفاع عن الهجمات العنيفة ضد العقيدة المسيحية عن طريق العقل والمنطق الصوري (ا.
- **الثانية:** تهذيبية تهدف إلى تنمية قوة المناقشة والجدل، وتنسيق المعلومات والمعارف بشكل علمي منطقي.

وقد ساهمت الحركة المدرسية في إنشاء الجامعات، ويمكن القول أن المدرسية لا تتميز بأي مبادئ أو اعتقادات بل هي في الواقع منهاج أو نوع من الفاعلية العقلية، تهتم بتنظيم المعرفة بغية إعطائها شكلا علمياً، والمعرفة عندها ذات طبيعة فلسفية، لذلك دافعت عن المنطق الصوري وتبنته.

أما أهم المدارس في أوائل العصور الوسطى فكانت المدرسة التنصيرية التي أسست في الغرب لتعليم الديانة المسيحية لأتباعها. والمدرسة الاستوائية في الشرق. ثم مدارس الكهنة وغايتها إعداد رجال الدين للقيام بالمراسيم الدينية، ومدارس الأديرة أو الرهبان لتعليم الرهبان القراءة والكتابة للاطلاع على الكتاب المقدس.

وأهم خصائص التربية في هذه العصور أن التربية العليا كانت مقصورة على رجال الكنيسة وأبناء الطبقات العليا، وسيطرة الثقافة اللفظية، واستبعاد العقل في القياس، وسيطرة الكنيسة على الناس عقيدة وفكراً وعملاً.

## 4- التربية الإسلامية:

- لمحة تاريخية:

وتمتد هذه الفترة ستة قرون من القرن السابع الميلادي عندما انتشر الإسلام في شبه جزيرة العرب وانتقل إلى إمبراطوريتي الفرس والروم، وحتى القرن الثالث عشر عندما سقطت بغداد على يد هولاكو المغولي عام 1257 م. وتقسم هذه الفترة إلى عدة أطوار لكل واحد منها خصائصه التربوية:

- **الطور الأول:** من البعثة النبوية إلى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.
- **الطور الثاني:** وهو طور الفتوحات الإسلامية التي بدأت في عهد أبي بكر أول الخلفاء الراشدين وقاربت نهايتها في عهد الأمويين.
- **الطور الثالث:** وهو طور تكوين الحضارة العربية والامتزاج بين الشعوب والحضارات، ويبدأ بظهور العباسيين ويمتد حتى ظهور الأتراك السلاجقة في القرن الحادي عشر الميلادي، وتدخل فيه حضارة الأندلس منذ القرن الثامن الميلادي.
- **الطور الرابع:** والذي يبدأ مع ظهور الأتراك السلاجقة وينتهي بظهور المغول في القرن الثالث عشر وسقوط بغداد على أيديهم.

## - أهداف التربية الإسلامية:

لقد تنوعت وتعددت أهداف التربية في الأطوار المختلفة ولكن يمكن اختصارها فيما يلى:

أ. **الهدف الديني:** ويتمثل في دراسة العلوم الشرعية والتفقه في الدين الإسلامي والحصول على الثواب الأخروي، إذ يقسم العلماء العلوم من حيث حكم تعلمها إلى قسمين، علم يجب تعلمه على كل فرد مسلم بعينه كالتوحيد، والصلاة، والصيام... وعلم يقتصر وجوب تعلمه على طائفة من أهل التخصص على وجه الكفاية.

ب. **الهدف الدنيوي:** وهو ما تعبر عنه التربية الحديثة بالغرض النفعي العملي، أو الإعداد للحياة ومتطلباتها. ويركز على دراسة علوم اللسان والتاريخ والجغرافيا والكيمياء والفيزياء والطب والهندسة والفلك وغيرها من العلوم التي يحتاجها المسلمون.

أما ملامح التربية الإسلامية عبر العصور فتتلخص فيما يلي:

- التربية الإسلامية مسؤولية فردية، فالفرد المسلم مطالب بتنمية نفسه بنفسه من مناهل العلم حسب إمكانياته وحسب توافر العلم في عصره.
- إنها تربية شاملة للجسد والروح والعقل، ومتدرجة مع الإنسان حسب مراحل نموه المختلفة، كما أنها متكاملة لا تقتصر على مكان ما وزمان معين بل تتم في كل زمان ومكان، وفي مختلف أماكن وجود الإنسان.
- تعتبر التربية الإسلامية تربية عملية تربط ما بين العلم والعمل، وما بين النظر والتطبيق.
- كل إنسان فيها معلم، فالكبير يعلم الصغير، والصغير يعلم الكبير، والمعلم قدوة لما يدعو إليه، يأمر بالبر والخير ويلتزم بهما.
- إنها تربية قوامها الحرية، وتقوم على الانفتاح على البيئة المحلية وعلى العالم أجمع، ورغم ذلك فإنها تقوم على الأصالة، ولكنها لا تأخذ من نظم التربية في العالم الخارجي إلا ما تحتاج إليه.
- تعطي دورا مهما للجماعة، التي توجه الأفراد والهيئات وترشدهم وتساعدهم، وتتمم النقص فيها يقومون من جهود.

## - مؤسسات ومعاهد التربية الإسلامية:

يعتبر عام 459 هـ حدا فاصلا فيما يتعلق بأماكن التعليم عند المسلمين، حيث افتتحت في بغداد أول مدرسة منظمة أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك. وقدا تكاثرت هذه المدارس بعد ذلك. أما قبل ذلك فقد كانت حلقات التعليم تعقد في أماكن مختلفة كالمساجد ومنازل العلماء وحوانيت الوراقين، وسوف نقدم فكرة موجزة عنها:

- **الكتاتيب:** وجدت قبل ظهور الإسلام، وإن كانت قليلة العدد، ويقال أن أول من تعلم الكتابة من أهل مكة هو سفيان بن أمية بن عبد شمس، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وقد علمهما بشر بن عبد الملك الذي تعلم الكتابة من أهل الحيرة. ثم أخذت القراءة والكتابة تنتشر بفضل تشجيع القرآن والكتابة، ويكون في منازل المعلمين. والكتّاب الخاص بتعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي ويكون غالبا في المساجد. وقد اختلفت المناهج في الكتاتيب باختلاف البلدان الإسلامية، كما ذكر ذلك ابن خلدون في مقدمته. ومن أبرز المعلمين الذي لمعوا فيها: الضحّاك بن مزاحم (105 هـ) والكميت بن زيد (126هـ) وعبد الحميد الكاتب (132هـ).
- **القصور:** وجد هذا النوع من التعليم الابتدائي في قصور الخلفاء والعظماء ومنهاجه يوضع من قبل الأب أو يشارك في وضعه، والمعلم يسمى مؤدبا. وبعد ذلك ينتقل الطالب إلى حلقات المساجد أو المدارس وفي كثير من الأحيان كان المؤدب يعيش في القصور المخصصة للتعليم ليكون إشرافه على التربية أحكم وأشمل.
- **حوانيت الوراقين:** ظهرت في أوائل الدولة العباسية، ثم انتشرت بأعداد كبيرة، وقد فتحت في الأصل لأغراض تجارية، ثم أصبحت مسرحا للثقافة والحوار العلمي ونسخ الكتب وعرضها للبيع، كما كانت مراكز لاجتماعات العلماء والطلاب.
- **منازل العلماء:** وتعتبر منازل العلماء في نظر المسلمين أماكن غير صالحة للتعليم العام لافتقارها إلى الراحة والسكون، ولكن شدة الحاجة دعت إلى وجود حلقات دراسية منزلية وذلك قبل ظهور المساجد فقد اتخذ الرسول الكريم (دار الأرقم) مركزاً يلتقي فيه مع أصحابه يعلمهم مبادئ الدين الجديد. كما كان يجتمع في منزله مع أصحابه للحوار. ومن أهم المنازل العلمية منزل الرئيس ابن سينا والإمام الغزالي، وأبي سليمان السجستاني.
- **الصالونات الأدبية:** كانت بسيطة في العصر الأموي، ولكنها ترقت وازدادت في العصر العباسي متأثرة بالتقاليد الأجنبية، وأصبحت ذات تقاليد مرعبة في دخولها أو مغادرتها أو في افتتاح مناقشاتها. وقد ارتبط تاريخها بتاريخ القصور وخاصة قصور الخلفاء. وقد تنوعت لتشمل الآداب والعلوم والفنون بأنواعها.
- **المسجد:** يرتبط تاريخ التربية الإسلامية بالمسجد ارتباطًا وثيقًا، حيث قامت فيه الحلقات العلمية واستمرت على السنين لشرح تعاليم الدين الجديد في أيام الإسلام الأولى، ثم توسع المسلمون فيما بعد في فهم مهمة المسجد، فأصبح مكانا مخصصا للعبادة، ومعهدًا للتعليم، وللقضاء وغير ذلك، وكان أول مسجد في الإسلام هو مسجد قباء، ثم تكاثرت المساجد بعد ذلك، ومن أشهرها في العالم الإسلامي: جامع المنصور، وجامع دمشق، وجامع عمرو بن العاص، والجامع الأزهر.

- **المكتبات:** كانت المكتبات وسيلة القدماء في نشر العلم، ولعل أقدم الخزائن العربية هي خزانة الأموي الحكيم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. وقد ظلت محفوظة في البلاط الأموي حتى ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز ففتحها للناس، وتقسم المكتبات في العالم العربي الإسلامي إلى:
  * **المكتبات العامة:** التي أنشئت بالمساجد والمدارس لتكون في متناول الدارسين، ومن أشهرها بيت الحكمة في بغداد، ومكتبة الحي درية في النجف، ومكتبة ابن سوار بالبصرة.
  * **المكتبة الخاصة:** التي أنشأها العلماء والأدباء لاستعمالهم الخاص، ومن أشهرها مكتبة الفتح بن خاقان، مكتبة حنين بن اسحق، و مكتبة ابن الخشاب....الخ.
  * **المكتبات بين العامة والخاصة:** وهي التي أنشأها الخلفاء والملوك بهدف العلم، وجعلوا دخولها مباحًا لطبقة معينة فقط.
- **الخوانق والزوايا والربط والبيمارستانات:** وهي أماكن للتعليم كان يقام بعضها داخل المدن وبعضها يقام على حدود الدولة (كالربط) أو في الصحراء (كالزوايا) أما البيمارستانات فهي عبارة عن مستشفيات لعلاج المرضى، وأول من عمل بها في الإسلام الوليد بن عبد الملك سنة 88هـ، وكانت أماكن يطبق فيها الطلاب علومهم النظرية على المرضى. وكلمة بيمارستان فارسية الأصل تعني المستشفى، أي: مكان المرضى.
- **المدارس:** اشتدت الحاجة للمدارس وذلك لازدحام المساجد بحلقات المعلمين والصبيان، مما كان يشوش على المصلين من ناحية، ثم نتيجة تطور العلوم وتقدمها من ناحية أخرى، وكانت أولى المدارس المدرسة (البيهقية) بمدينة نيسابور في القرن الرابع الهجري. وفي القرن الخامس الهجري أنشئت المدارس النظامية على يد الوزير السلجوقي نظام الملك لنشر المذهب السني، وقد بدأت نظامية بغداد عام 459هـ. وبعد ذلك تأسست المدارس النورية التي أسسها نور الدين زنكي. ثم كثرت المدارس في عهد الأيوبيين والمماليك.

## - طرق ومناهج التعليم في التربية الإسلامية:

لقد عني المربون المسلمون بطرائق التعليم باعتبارها من أهم العناصر التي تتكون منها العملية التعليمية التربوية، فحسن اختيار الطرق والأساليب التعليمية يتوقف عليه بشكل كبير نجاح العملية وتحصيل المتعلمين، وسنتعرض إليه بإيجاز حسب ما يقتضيه المقام.

لقد فرق المسلمون بين تربية الصغار والكبار، وأقاموا وزنا كبيرًا للصلة بين محتوى الدراسة وعمر الطالب. أما سن التحاق التلميذ بالدراسة فلم تكن محددة، بل كان الآباء أحرارا في ذلك على أن الكثير من المربين المسلمين نصحوا بالتكبير في طلب العلم لفائدته الكبيرة في مختلف المجالات.

كما أعطوا عناية بتربية الجسم ليساعد العقل على التعلم والتعليم، وحذروا من إرهاق الجسم بمواصلة التعليم دون فترات من الراحة لتجديد النشاط، وسمحوا للطلاب بالإجازات الأسبوعية وإجازات العيدين من أجل الراحة.

أما طريقة التعليم، فكانت على التلقين والحفظ ولاسيما القرآن الكريم. كما أدرك العلماء المسلمون أهمية التدرج في التعليم، وعدم الخلط بين علمين في آن واحد، وكانت طريقتهم فردية، أي أن يهتم المدرس بكل طالب على حدة لا بالطلاب جملة، وتميزت طريقة التعليم العالي بالنقاش والأسئلة بين الطلاب وأساتذتهم بعد المحاضرة، بالإضافة إلى أخذ الفروق الفردية بعين الاعتبار.

وفيما يتعلق بالعقاب والثواب فقد اهتم المربون المسلمون في جميع العصور بأمر عقوبة الطفل، فقد أكدوا على أن تبدأ بالإنذار، فالتوبيخ، فالتشهير، فالضرب الخفيف. وأباح آخرون الضرب الشديد عند تجاوز الطفل حدودا معينة، والعقوبة نوعان: روحية وبدنية، ولا يتم إيقاع العقوبة إلا بشروط محددة. أما الثواب فهو أيضا نوعان: مادي كتقديم الجوائز والمكافآت، ومعنوي كالمدح والاستحسان.

وتنقسم مراحل التعليم اليوم في معظم بلاد العالم إلى ابتدائية وثانوية وجامعية، والأبحاث والدراسات العليا. إلا أن المسلمين عرفوا في الواقع ما يشبه هذه المراحل. فقد وجد التعليم الابتدائي في الكتاتيب. كما وجد في حوانيت الوراقين والصالونات ومنازل العلماء يشبه التعليم الجماعي اليوم. أما المساجد فقد وجدت فيها المرحلتان الثانية والثالثة: وعرف المسلمون أيضا المرحلة الرابعة، وما يؤكد ذلك فيها ما كان يجري في بيت الحكمة، وفي بيت بني شاكر من أبحاث.

وأما المناهج والموضوعات الدراسي، تنوعت المناهج في المرحلة الابتدائية واختلفت باختلاف الدول الإسلامية فهي لم تقتصر على العلوم والمهارات الجسمية، بل ركزت أيضًا على التربية الخلقية واكتساب العادات الحميدة، وتعددت المناهج في المرحلتين الثانوية والعالية، فلم يقيد الطالب بموضوعات معينة.

ويمكن تقسيم المناهج بشكل عام إلى قسمين رئيسيين:

- المناهج الدينية الأدبية، سايرت نمو الفكر الإسلامي وتطوره واطلاعه على الفكر الفارسي واليوناني والهندي، ويصنفها الخوارزمي إلى علوم طبيعية بفروعها المختلفة، والعلوم الرياضية بفروعها والمنطق والفلسفة.
- أما الأسس التي بنيت عليها المناهج الإسلامية فقد اعتمدت على إعطاء أهمية لقيمة المادة من الوجهة الدينية، وقيمتها من حيث الأثر التدريبي والقيمة التثقيفية، والنفعية المهنية، وأخيرا قيمتها كأداة لدراسة علوم أعظم شأنا.

- ولقد أنتجت التربية الإسلامية عددًا كبيرًا من المربين من أبرزهم الغزالي وابن خلدون وابن سينا، والقابسي، وابن سحنون وابن مسكويه والزرنوجي وغيرهم، وسنتعرض فيما يلي للتعريف بأحد أبرز هؤلاء المربيين ألا وهو أبو حامد الغزالي.

- **أبو حامد الغزالي:**

هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، قيل إن أباه كان يشتغل بغزل الصوف، ومن هنا جاءت التسمية، وقيل إنه ينسب إلى بلد يسمى غزالة، والغالب أنه ولد في مدينة طوس من أعمال خراسان ببلاد فارس عام 1057 م (450 هجرية). ويعتبر الغزالي من أكبر مفكري الإسلام المدافعين عنه بل من أكثرهم قدرة على الابتكار، وكان فقيها متكلما صوفيا، وقد سمي بحجة الإسلام لأنه رد على الكثيرين من المخالفين.

ويذكر السبكي في طبقاته أن الثقافة الأولى التي تلقاها الغزالي بعد وفاة أبيه كانت في بيت صديق له متصوف. وكانت ثقافة عامة لم يستزد منها الكثير، إذ كان يعدها علما دنيويا، وفضل عنها أن يغمر روحه في معرفة الله ودرس الغزالي علم الكلام عندما ذهب إلى نيسابور ولازم إمام الحرمين هناك، وقرأ الحكمة والفلسفة، وقد عرف عنه شدة الذكاء وإفراط الإدراك والغوص في المعاني الدقيقة.

ثم بعد موت إمام الحرمين تولى منصب التدريس في بغداد في المدرسة النظامية، ونال هناك نجاحا كبيرا، فقد أعجب الخلق حسن كلامه وكمال فضله وفصاحة لسانه ونكته الدقيقة وإشاراته اللطيفة. وكان الشك قد بدأ يتطرق جادا إلى نفسه مما يثير عقله، فزاد من تحصيله من الفلاسفة أملا تذوق الحقيقة العليا. وقرأ للفارابي ولابن سينا وغيرهما قراءة الناقد الذي يزمع إعادة تصنيف ما كتب، والذي ظهر فيما بعد تحت كتاب (تهافت الفلاسفة). ومعنى التهافت عنده التسرع بجهل. ويقول إن البعوضة لأجل ضعف إبصارها تطلب ضوء النهار فإذا رأت ضوء النهار فترمي بنفسها إلى السراج و تكرر المحاولة مرات وهي تحسب أنها متجهة نحو نور النهار حتى تحترق. وكان الغزالي يقتصد بكتابه هذا نقد كلام الفلاسفة وهدم مذاهبهم لأنهم تسرعوا بجهالة كما يفعل البعوض...وأحس الغزالي أن الدنيا مقبلة عليه لشهرة نالها وأنها تجذبه بأمنها إلى البقاء والمقام في بغداد، وفي نفس الوقت تنادي به دواعي الآخرة إلى الرحيل، ووجد أن خيرا له أن يحارب الدنيا ورذائلها.

هجر الغزالي كرسي التدريس لأنه شعر برغبة إلى الحياة الصوفية وقصد بيت الله الحرام، وحج ثم توجه إلى الشام واعتكف في زاوية بالمسجد الجامع في دمشق، حيث اشتغل بتأليف كتبه وترويض نفسه. وقد سميت المنارة التي كان يصلي فيها بالغزالية وهي معروفة إلى اليوم بهذا الاسم. ولبس الغزالي الملابس الصوفية الخشنة مع التقليل من الطعام والشراب، وتنقل إلى القدس حيث مسجد الصخرة ثم إلى حبرون (الخليل) زائرا ضريح إبراهيم، وطاف بالمسجد والترب وأوى إلى القفار، وكلف نفسه مشاق العبادات آملا الطريق الموصل إلى رضا الرحمن.

وبعد سنين من النسك عاد إلى بغداد، وهناك أظهر كتابه الضخم (إحياء علوم الدين). وتوجه إلى نيسابور ليعلم فيها بالمدرسة النظامية، ثم إلى مسقط رأسه في طوس حيث أقام بجوار بيته مدرسة للفقهاء وخانقا للصوفية، ووزع أوقافه على وظائف من ختم القرآن، ثم وافاه الأجل المحتوم في الخامسة والخمسين من عمره.

لقد أثرت اتجاهات الغزالي الفلسفية والصوفية على آرائه التربوية تأثيرا واضحا، وإذا أضفنا إلى ذلك الاتجاهات السائدة في عصره فسوف يتضح لنا مدى عمق أرائه وأهميتها في سجل التطور التربوي. وكان الغزالي ينزع إلى الواقعية في آرائه وأهميتها في سجل التطور التربوي. وكان الغزالي ينزع إلى الواقعية في تفكيره ملقيا أهمية إلى سعادة الدنيا وسعادة الآخرة مع حرص شديد على التطهر من الرذائل والتحلي بالفضائل. ولم ينس الغزالي في غمرة اهتمامه بالدين عنايته بالعلوم الدنيوية كالطب والحساب وبعض الصناعات. وقد عرفنا الغزالي مدرسا في المدرسة النظامية، وكان دائب السعي لتربية الأفراد تربية صحيحة فبالأفراد تصلح المجتمعات، حيث أنه كان يرى أن التربية للإنسان قادرة على تكميل ما به من نقص. ويؤخذ على الغزالي أنه لم يهتم مطلقا بتعليم البنت ولم يظهر تحميسا للتعليم المهني، ويلوح أن نزعته الصوفية قد يكون لها بعض الأثر في هذا الاتجاه، حيث أنه لم يكن من الساعين وراء الأجور لقاء الخدمات.

وقد اهتم الغزالي بالعلم والتعليم بل بلغ اهتمامه درجة جعلته يعتقد أن التعليم الصحيح هو السبيل إلى التقرب من الله، ومن ثم إلى سعادة الدنيا والآخرة.

وإذا كان للعلم هذه المنزلة فإن الغزالي قد استشهد بكلام الله عز وجل وبالأنبياء والمرسلين وغيرهم من ذوي الرأي الحصيف للتدليل على رفعة شأن العلماء ولتوضيح فضيلة العلم والتعليم، كما أنه أكد وجوب التعليم وإخلاص المعلمين في أعمالهم.

وهدف التعليم والتهذيب عند الغزالي إلى الكمال الإنساني الذي غايته التقرب من الله ومن ثم إلى سعادة الدنيا والآخرة. ويبلغ الإنسان كماله باكتساب الفضيلة عن طريق العلم، وهذه الفضيلة تسعده في دنياه وتقربه من الله فيسعد في آخرته أيضا. على أن الغزالي ذكر في أكثر من مناسبة أن العلم ينبغي أن يطلب لذاته فهو فضيلة في ذاته على الإطلاق، أي يطلب المتعلم العلم لما للعلم من قيمة ومن لذة ومتعة يستشعر بها طالب العلم.

يقسم الغزالي العلوم إلى ثلاثة مجموعات:

1) علوم مذموم قليلها وكثيرها، وهذه لا يرجى نفع منها في الدنيا أو الآخرة كعلوم السحر والتنجيم وكشف الطوالع، وهذه تؤدي إلى الإضرار بدراستها والمصدقين لها وقد يشككون في الله، بل قد يستخدمها دارسها في الشر.

2) علوم محمود قليلها وكثيرها مثل العلوم الدينية والعبادات وهذه تؤدي إلى تطهير النفس والسمو بها عن الرذائل والشرور، وتقرب الإنسان من ربه.

3) علوم يحمد منها قدر معين، ويذم التعمق فيها، وهذه هي التي يتسبب في ارتباك الناس وتشككهم وقد تؤدي إلى الإلحاد مثل: الفلسفة.

ويقسم الغزالي العلوم من حيث أهميتها إلى قسمين:

أ. فروض العين أي العلوم المفروضة معرفتها على كل مسلم مثل علوم الدين وعلى رأسها دراسة كتاب الله عز وجل.

ب. فروض الكفاية أي العلوم التي لا يستغني عنها في تسيير أمور الدنيا مثل علوم الحساب والطب وبعض الصناعات كالفلاحة والحياكة.

وقد أفاض الغزالي في الجزء الأول من كتابه "إحياء علوم الدين" بتقسيماته.

ومن المواضيع الأساسية في التربية والتعليم آداب المتعلم، ولهذا فقد أعطى الغزالي أهمية بالغة لهذه المسألة فتناولها بشكل مفصل، ونحاول هنا سرد هذه الآداب في النقاط التالية:

- **آداب المتعلم ووظائفه:**

* تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف.
* أن يقلل علائقه من الانشغال بالدنيا، ويبتعد عن الأهل والوطن، وإن العلائق شاغله وصارفة، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق.
* أن لا يتكبر على العلم ولا يتآمر على المعلم، بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويطلب الثواب والشرف بخدمته.
* أن يحترز الخائض في العلم في مبدأ المر عن الإصغاء إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو علوم الآخرة.
* أن لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقتصده وغايته، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه، وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه، وتطرق من البقية، فإن العلوم متعاونة، وبعضها مرتبط ببعض، ويستفيد منه، في حال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله، فإن الناس أعداء ما جهلوا.

* أن لا يخوض في فن من فنون العلم دفعه، بل يراعي الترتيب، ويهتدي بالأهم فإن العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا، فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشمه، ويصرف جمام قوته في الميسور من عمله إلى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة.
* أن لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله، فإن العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا وبعضها طريق إلى بعض، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج.
* أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم، وأن ذلك يراد به شيئان، أحدهما شرف الثمرة، والثاني وثاقة الدليل وقوته، وذلك كعلم الدين وعلم الطب، فإن ثمرة أحدهما الحياة الأبدية، وثمرة الآخر الحياة الفانية، فيكون علم الدين أشرف، ومثل علم الحساب، وعلم النجوم، فإن علم الحساب أشرف لوثاقة أدلته وقوتها، وإن نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرته، والحساب أشرف باعتبار أدلته، وملاحظة الثمرة أولى، ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره بالتخمين.
* أن يكون قصد المتعلم في الحال تحليه باطنه وتجميله بالفضيلة، وفي المال القرب من الله سبحانه والترقي إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين، ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومهارات السفهاء ومباهاة الأقران.
* أن يعلم نسبة العلوم إلى القصد، كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره، ومعنى المهم ما يهمك إلا ثنائك في الدنيا والآخرة. وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري العيان، فالأهم ما يبقى أبد الآباد، وعند ذلك تصير الدنيا متر لا والبدن مركبا والأعمال سعيا إلى المقصد، ولا مقصد إلا لقاء الله تعالى: ففيه النعيم كله، وإن كان لا يعرف في هذا العالم قدره إلا الأقلون.

وبعد التعرض إلى آداب المتعلم نستنتج أن نظرة أبي حامد الغزالي نظرة واقعية، وفكر تربوي عاملي أراد من ورائه بناء المتعلم الناجح في الدنيا والآخرة.

كما أن الغزالي كونه رجل دين وعلم فقد أجمع بين البعد الديني والدنيوي في نظرته هذه لآداب المتعلم. وهذا النوع أو التركيز على العلم الأخروي من طرف الغزالي وغيره من المسلمين: هو نابع من التربية التي تلقونها والتوجه الديني للمجتمع في تلك الفترة، وخاصة إصلاح العقيدة من الشبهات والانحرافات واللغو الذي ادخله بعض المتكلمون والفقهاء وغيرهم في عهده، والإصلاح وتخليص الأمة من مخالب الجهل والتقهقر ينطلق من تعليم الصبي –المتعلم– تعليم متين يرتكز على أسس عقلانية، لا تهمل الدين ولا الدنيا، ولكن هناك درجات فيما يخص أنواع العلوم ويكفي الإقبال عليها، وهناك أولويات كون أن الحياة قصيرة والعمر لا يكفي كله للجمع بين كافة المعارف. ولهذا يجب استغلال هذه الحياة الدنيا في الجمع بين ما ينفع ويصلح للفرد والمجتمع. كذلك نجد الغزالي قد أعطى أهمية كبيرة

لنفسية المتعلم وسنه وقدراته – أي طاقته– على استيعاب العلوم والفنون، ولهذا فهو يحث المعلم على مراعاة سن المتعلم، التدرج في المعارف وكيفية تقديمها، كي لا تشكل عائقا في عملية التعلم والاكتساب.

كذلك لا ينتقل المتعلم من نوع من العلوم والفنون إلا إذا تحكم في العلم الأول ثم يحق له الخوض في الثاني، نظرا للعلاقة الجدلية والترابطية –التلاحم– بين العلوم والفنون.

ولو عدنا إلى برامجنا التعليمية في المدارس الابتدائية والمتوسطية –الإكمالية– بوجه الخصوص نجد الفوضى تطغى على سير البرامج والتدريج في الدروس ولهذا نجد مشكلة الاستيعاب والتحصيل عند المتعلم.

كذلك من القضايا الأساسية والتي نحن بحاجة ماسة إليها هي طبيعة العلاقة الواجب أن تكون بين المعلم والمتعلم، وخاصة احترام المتعلم للمعلم أو المربي، ولهذا فنجاح المتعلم يرتكز أساسا على طبيعة هذه العلاقة. فالمطلوب من المتعلم احترام المعلم، إلا أننا اليوم وكما سبق الإشارة إليه أصبح المتعلم لا يحترم المعلم، بل يتطاول عليه ويتعدى عليه والعملية التربوية أصبحت مجرد عملية تزويد بالمعلومات – و أي معلومات؟

فالقطيعة كاملة بين الطرفين، ولا يحق للمعلم التدخل في شؤون ومشاكل المتعلم ومهمته تقتصر فقط على التعليم، وعليه تكون العملية التربوية والتنشئية داخل مؤسساتنا التربوية غائبة مشلولة.

ومن حيث النظافة والطهارة نجد أن المتعلمين عندنا غالبا لا يراعون لهذه المسألة أدنى الاهتمام، كما أن الأولياء لا يسهرون على هذا. وفي ظل غياب الرقابة والمتابعة الوالدية يجد المتعلم نفسه طليقا يعمل ما يريد، ومنها تضييعه للنظافة، ولا نقصد بها نظافة المظاهر فقط، بل نظافة العقل والسلوك وهذا أصعب ما يطلب من المتعلم، نظرا لتلوث البيئة الاجتماعية وكثرة الرذائل.

كما أن أفراد البيئة الأسرية والمدرسية ومن يتعامل معهم المتعلم يكونون أول سبب في انحرافه وإهماله لعامل النظافة.

كما أن المتعلم في مرحلة الطفولة يسعى إلى تقليد الكبار منهم الأولياء والمعلمين، وكثيرا ما يكونون مصدرا لا يستحق إتباعه والإقتداء به، إلا أن الصبي في هذه المرحلة العمرية لا يجد سواه والنتيجة تكون رذالة النفس.

ويعد اليوم التعليم ورقة يسعى من ورائها المتعلم على حصول الشهادات وذلك لضمان مكانة اجتماعية تسمح له بالعيش الكريم، ولهذا فقد تبدلت الظروف فالعلم من أجل العلم اليوم لا مكانة له، فالمطلوب من المتعلم لكي تكون له مكانة اجتماعية مقبولة، الحصول على الشهادات. إلا أن هذا لا يعني أن تكون الأمور الدنيوية شغله الشاغل وهمه الوحيد. فكثرة التعلق بالأمور الدنيوية مفسدة للأخلاق ومضيعة للفضائل.

وعليه يمكن القول بأن هناك الكثير من مواقف الغزالي في مسألة آداب المتعلم مازالت صالحة إلى هذه الساعة والبعض منها ونظرا للتغير الاجتماعي والثقافي وتنوع متطلبات الحياة اليومية، أصبح غير ممكن اعتمادها.

- **بيان وظائف المرشد المعلم:**

* الشفقة على المتعلمين.
* أن يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه، فلا يطلب على إفادة العلم أجرا، ولا يقصد به جزاء ولا شكرا، بل يعلم لوجه الله تعالى، طلبا للتقرب إليه.
* أن لا يدع من نصح المتعلم شيئا، وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي، ثم ينبه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمناقشة، ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن.
* أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن، ولا يصرح، وبطريقة الرحمة لا بطريقة التوبيخ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة، ويورث الجرأة علة الهجوم بالخلاف، ويهيج الحرص على الإصرار.
* أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة إذا عادته تقبيح علم الفقه، ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير.
* أن يقتصر بالتعلم على قدر فهمه، فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله، فينفره أو يخبط عليه عقله.
* أن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقي إليه الجلي اللائق به، ولا يذكر أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه، فإن ذلك رغبته في الجلي، ويشوش عليه قلبه، ويوهم إليه البخل به، إذا يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق، فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله، وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله.
* أن يكون المعلم عاملا بعلمه، فلا يكذب قوله فعله، لن يدرك المعلم بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فإنه سم مهلك، سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه.

فالعلامة أبي حامد الغزالي يعتبر أحد أبرز علماء التربية الإسلامية، فقد خاض وكتب في جميع المباحث المتعلقة بالتربية في عصره، وتبقى أفكاره وآراؤه التي نادى بها من صميم علم النفس التربوي الحديث في بعض المسائل.

# 5- التربية في العصور الحديثة:

## - التربية في عصر النهضة والإصلاح الديني:

يطلق عصر النهضة على الفترة الزمنية في أوروبا بين القرن الرابع عشر والسادس عشر، فلقد أمضى الإنسان الأوروبي في هذه الفترة ما يقارب ثلاثة قرون محاولا التخلص مما كسا عقله وصبغ تفكيره خلال العصور الوسطى، وشهدت الفترة بين القرن الرابع عشر والسادس عشر حركات جريئة تحدى فيها العقل جميع القيود المفروضة عليه، وتعتبر هذه القرون مرحلة انتقال بين تربية العصور الوسطى وتربية العصور الحديثة، بل إنها الفترة التي بذرت فيها بذور التربية الحديثة.

## - لمحة عن عصر النهضة:

وقبل التحدث عن مميزات عصر النهضة لابد من التأكيد على بعض العوامل التي أدت لهذه النهضة، ومن أهمها:

1) الثورة الاقتصادية التي قامت في القرن الثاني عشر بظهور طبقة جديدة من أهل المدن وهي الطبقة الوسطى العاملة، وقوامها التجار ورؤساء أرباب الحرف من أهل المدن، إضافة لما كان موجودًا ومألوفا وهو التقسيم الثلاثي للطبقات وهي: طبقة النبلاء (المحاربون)، ورجال الدين، والفلاحون، وكان ظهور الطبقة الوسطى عاملاً مهما من العوامل التي حطمت دعائم المجتمع الأوروبي القديم، وأدت لثورة الإصلاح.

2) أدى النمو الاقتصادي إلى ظهور طبقة التجار والحرفيين بالتدريج مع ظهور بوادر الصناعات البسيطة مما أدى إلى ظهور قوى اجتماعية جديدة مهدت لكسر القبضة الحديدية للإقطاع، مما ساهم في ظهور نزعة عقلية جديدة قوامها التمرد على الفكر القديم،وكانت فرنسا في العصور الوسطى خلال القرن(12 و13م) الزعيمة العقلية لأوروبا لتجارتها الرائجة، والأعمال المالية والتجارية التي انتشرت في باريس وحققت الثراء لها وأغرت كثيرا من العلماء والعقول المفكرة للنزوح إليها حيث كانوا يلاقون أيضا الدعم المالي.

3) ظهور نزعة عقلية جديدة تطالب بالتوفيق ما بين مطالب الإيمان ومطالب العقل الإنساني، هذا الاتجاه الذي بدأ يدعو إلى منطقة الدين والذي بدأ يظهر من داخل الكنيسة ذاتها. وكان من أوائل من نزع هذه النزعة ابيلارد (1079-1142 م) الذي نادي بتحرر العقل من ربقة العقيدة، وأكد أن العقيدة لا يمكن أن تحيا حياة قوية بغير علم ومعروفة.

4) التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي كانت قد بشرّت بثورة الإصلاح التي حدثت في الفكر الأوروبي، وقد حمل لواءها المتعلمون الذين استفادوا من خبراتهم ودراساتهم في الجامعات الإسلامية في الأندلس من أمثال العالم روجر بيكون(1214-1294 م) الذي هاجم المنهجية المنطقية والميتافيزيقية ونادي

بالمنهج التجريبي، ولقيت آراؤه رواجا كبيرا بعد موته حيث يعتبر بحق رائد الطريقة التجريبية، التي كانت من أسباب النهضة الأوروبية.

5) **اختراع الطباعة:** لقد دعمت الاتجاهات الجديدة كلها ابتكار فن الطباعة في أوروبا عام 1440م، مما ساهم في طباعة ونشر الكتب والدراسات التي أصبحت لكثرتها في متناول جمهور أوسع من الشعب، مما شجع المطالعة التي هي باب المعرفة وباب كل تقدم وتطور، ولها دور فعال على مستقبل الشعوب والأمم.

6) ظهور الدول العصرية، ومحاولة تحقيق نمو اقتصادي وتغيرات اجتماعية للسير بالمجتمعات إلى الأمام، مما دعا إلى ضرورة وجود تعليم جديد لخدمة الواقع الجديد.

وهذا التغير الذي فرضه نفسه على الغرب ساهم في نشوء الجامعات التي كونت الحركة الفكرية والفنية التي تسمى بالإصلاح، حيث أدت إلى إشعاع علمي وحضاري وثقافي عام بدد الظلمات التي سادت أوروبا في القرون الوسطى، وكانت التفتح الأول للعالم الحر، ومنذ القرنين الثالث عشر والرابع عشر أخذت هذه المراكز الثقافية تتكاثر في المدن الكبرى، وبدأ الفكر الجديد يفرض نفسه على الجامعات والمدارس مع بداية ضعف إشراف رجال الكنسية على التعليم ومؤسساته. بالإضافة إلى أن الكنسية نفسها ساهمت –من غير قصد– في ثورة الإصلاح الديني في أوروبا لتنتقل بعدها من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة.

تميزت النهضة التي حدثت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر بأنها كانت شاملة لجميع ميادين الحياة، بثت روحا جديدة في العلم والفكر والفن والاجتماع والحضارة، وفي نواحي التربية والتعليم النظرية والعلمية. لقد اهتمت بتنمية الفردية وتمجيد الإنسان أكثر من الاهتمام بما وراء الطبيعة.

واعتمدت أساليب فكرية وتهذيبية مرنة بعكس الأساليب الجامدة التي كانت سائدة في العصور الوسطى. لقد حاربت الجمود وشجعت الابتكار وكانت بحق تربية إنسانية، تهتم بتربية الإنسان جسميا وعقليا ونفسيا وتهتم بالعقل وتخفيف القيود التي كانت مفروضة عليه. وقامت خلالها أنواع من النشاط يمكن أن نرجعه إلى ثلاث نزعات لم تكون موجودة في العصور الوسطى:

أ. العودة إلى الأقدمين المتمثلة في آلية العودة إلى الأصول في صورة إحياء الآداب والمعارف والفنون الرومانية والإغريقية، وما أعقب ذلك من قيام النزعة الإنسانية. مما أدى إلى ظهور فكر جديد يهتم بتجربة الفرد الشخصية وعقله. ولقد ساعدت هذه على أحياء العلوم والآداب القديمة والبحث عن المخطوطات وطبعها ونشرها.

**ب.** الاهتمام بالعالم الشخصي، عالم الانفعالات وتقدير عواطف الإنسان والاستمتاع بالحياة وتأمل لذائذاها، وإكبار الجمال بشتى صوره. وقد نتج عن هذا الاهتمام الإنتاج الفني والأدبي بشتى صورهما.

**ج.** العناية بالطبيعة الجامدة التي كانت مهملة في العصور الوسطى. وقد ساعدت هذه النزعة على الاهتمام بالتجريب والاكتشافات الجغرافية والفلكية والطبيعية.

- **المدلول التربوي للنهضة:**

– **إحياء فكرة التربية الحرة:** لم يكن الشغف بدارسة الآداب القديمة المظهر الخارجي للنهضة فحسب، بل كانت هذه الآداب الوسيلة الرئيسية لتطوير الحياة الجديدة بالاعتماد على تقليد القدماء. وقد كتب بوليس فرجويوس (Paulus vergerius) الأستاذ في جامعة بادو بايطاليا كتابا 1374م حدد فيه هدف التربية الحرة فقال: (إن العلوم الحرة التي تليق بالرجل الحر، هي العلوم التي تدربه على الفضيلة والحكمة)، وأهم عناصرها العنصر الجسماني، وعنصر الاقتدار العملي في شؤون الحياة المختلفة والعنصر البديعي الجمالي، الذي أهملته العصور الوسطى.

– **التربية الإنسانية الضيقة:** أطلق على محتوى التربية الحرة الذي كان قوامه اللغات والآداب القديمة اسم (الإنسانيات) الخاصة بالنوع الإنساني. وقد تطلب الوصول إلى هذه الغاية التوسع في دراسة آداب اللغات القديمة من اليونانية اللاتينية. وأصبحت غاية التربية تعلم اللغات والآداب بدلا من الحياة نفسها، واتجهت الجهود التربوية نحو السيطرة على هذه الآداب وامتلاكها، وأصبحت العناية بصورة هذه الآداب هي الرائد الأول بدلا من العناية بمضمونها ونتيجة لذلك تكون نموذج تربوي مباين للتربية الحرة التي نبت منها وأدنى قيمة. فضاق معنى التربية واقتصر على العناية باللغات وتعلمها، والاهتمام بالتقدير الشكلي للآداب القديمة، والعناية بالفصاحة والبلاغة وهكذا ضاق معنى التربية، وأصبحت صورية، وأصبح هدفها تعلم اللاتينية نحوا وأسلوبا عن طريق دراسة نصوصها مع توجيه عناية خاصة لنصوص شيشرون وأفيد وترانس.

ومن أشهر المربيين الايطاليين في عصر النهضة: (بترارك) في القرن السابع عشر الذي شجع مطالعة الآداب العالمية القديمة، ورفض التربية الجامدة. ثم فتورينو دافلتر (1378– 1446) الذي يعد أشهر المربين في عصر النهضة، وتقديرا لفضله سمي بالمدرس العصري الأول. ثم الانكليزي روجر اسكام (1515–1568م) وهو أول من كتب في التربية باللغة القومية، وقد جمع في حياته بين السياسة والعلم، وكان يعارض استعمال العقوبات البدنية، كما اشتهر بطريقته في الترجمة المزدوجة، أي أن يترجم الطالب البحث من اللاتينية إلى الانكليزية ثم يطلب منه أن يترجم ما كتبه بالانكليزية ثانية إلى اللاتينية، وحض على تعلم الآداب القديمة كغيره من أصحاب النزعة الإنسانية.

ومن أشهر المربين الإنسانيين الألماني إراسموس (Erasmus :1535-1467)، حيث علم الآداب القديمة في بعض جامعات أوروبا، وكان له ولع عظيم بجمع الكتب والمخطوطات رغم فقر حاله. وقد قال يوما ما معناه: إذا حصلت على مال فأول ما أفعله هو شراء الكتب اليونانية وبعدها أشتري بعض الملابس الضرورية .

وأما أهم آرائه التربوية فهي اعتبار الأم المربية الطبيعية للطفل وأن لا يطلب من الطفل قبل سن السابعة غير اللعب واكتساب الآداب والأخلاق وبعد ذلك يجب أن يدرس اليونانية واللاتينية معًا مع التركيز على النحو، وعدم إهمال التربية الدينية، والاهتمام بالتربية الأسرية، دون تفريق بين البنات والأولاد، واستبعاد الطرق القاسية في التربية، واستبدالها بالتشويق والإغراء

**- الإصلاح البروتستانتي:**

بينما اتجهت النهضة في إيطاليا اتجاها أدبيا وعنيت بالآداب وركزت على الفرد، نجدها في ألمانيا تنحوا منحا دينيا، حيث عنيت بالآداب المسيحية، واهتمت بالإصلاح الاجتماعي والديني والخلقي. لقد كان رجال الدين المسيحي متفقين على إصلاح المفاسد التي حصلت داخل الكنيسة، لكنهم اختلفوا حول مفهوم الدين وطبيعة العقل البشري نفسه، فمنهم من يرى أن كمال الحقيقة هو في سلطة الكنيسة، ومنهم من يرى أنها تتكامل عن طريق العقل الفردي، مما أدى إلى انقسام الكنيسة إلى بروتستانت وكاثوليك. ومن أشهر المعلمين البروتستانت لوثر الذي رفع من قيمة العقل، ووجه نداءاته إلى السلطات العامة للاهتمام بشؤون التعليم لما له من أهمية دينية ودنيوية، وأكد على أهمية المدارس ودور المعلمين في تربية الأطفال، رغم انتقاده لمدارس عصره لعدم فائدتها في تربيتهم وطالب بتنظيم المدارس الجديدة، وضرورة الإنفاق عليها من الدولة. أما منهاج الدراسة وطرق التدريس فيضع لوثر في المقام الأول تعليم الدين من الإنجيل من سن التاسعة أو العاشرة، ثم تأتي اللغات القديمة كاللاتينية واليونانية والعبرية، ثم الرياضيات والطبيعيات، وانتقد تدريس مادة التاريخ اعتقادا منه بأن المؤرخين يطمسون الحقائق. وقد أضاف إلى مواد المنهاج التمارين الجسدية والغناء والموسيقى هذا، وقد عمل لوثر على إصلاح الطرق المتبعة في التدريس، وطالب بإشاعة روح الحرية والمرح في المدارس

**- الإصلاح الكاثوليكي:**

بقي التعليم العالي حتى عهد الثورة الفرنسية عملا تقوم به الكنيسة، عن طريق بعض الفرق والجماعات الدينية من أشهرها: جماعة اليسوعيين التي أسسها إجنيس ليولا(Igins Lyola) عام 1540م، من أجل توطيد سلطة البابا ونشر نفوذ الكنيسة الكاثوليكية عن طريق التبشير والدعوة إلى الدين المسيحي بين الأمم الوثنية.

وكان لديهم نوعان من التدريس غير عال ويعادل الجمنازيوم، وتدريس عال ويعادل الدراسة الجامعية، وكانوا يعلمون مجانا، مما ساعدهم على منافسة المدارس البروتستانتية.

وكانت مدارسهم تمتاز بحسن إدارتها وكمال أنظمتها الداخلية والرقابة الشديدة التي كان يقوم بها مديرو المدارس على الطلاب والمدرسين. ولم يستعملوا العقوبات البدنية في حفظ النظام، وإنما لجؤوا إلى المكافأة وتشجيع التنافس بين الطلاب.

واهتموا بإعداد المعلمين للمهنة، وتمتاز طريقتهم بكثرة المراجعات والخلاصات، فلا يشرع المعلم بالدرس الجديد قبل تلخيص الدرس القديم، ولا بمقرر العام الجديد قبل تلخيص مقرر العام السابق، ولذا تسمى طريقتهم بطريقة المراجعة والتكرار.

أما المناهج فتشبه مواد الدراسة عند أنصار الآداب القديمة أيام النهضة، إذ وجهوا عنايتهم إلى دراسة قواعد اللغة اللاتينية وآدابها من خلال ما خطه شيشرون وأوفيد وتيرانس، واهتموا باللغة اليونانية وآدابها بصورة أقل، كما اهتموا بدراسة النحو والبلاغة والشعر. ولكنهم أهملوا دراسة التاريخ والفلسفة والعلوم عامة. (

ومن النقد الموجه إلى طرائقهم في التعليم أنها تقضي على الحرية الفردية والابتكار، وتعود على الخضوع والاستسلام.

ومن جملة الفوائد التي جاء بها الإصلاح الديني افتتاح المدارس الأولية بكثرة في الأقطار البروتستانتية تحت رعاية الحكومة وتكليفها بقسم من النفقات، إذ كان من واجب الحكومة جعل التعليم الأولي عاما وإلزاميا.

وفي الأقطار الكاثوليكية كان التعليم الأولي في أيدي جمعية الإخوان المسيحيين التي أسست عام 1684م على يد (لاسال La Salle)، وانتشرت المدارس الكاثوليكية انتشارا كبيرا في القرن التاسع عشر، وأسست لها فروعا في معظم البلدان الكاثوليكية والبروتستانتية.

لقد اهتم الكاثوليك بتدريب المعلمين عن طريق دور المعلمين التي تخرج معلمين للمدارس الأولية.

وأنشئت مدارس أخرى في فرنسا للجنسين في المدة 1628–1661م، ومن مميزاتها العامة عنايتها بتكوين الفكر السديد. والاهتمام بفردية التلميذ وتعهد شؤونه الشخصية، وجعل محبة الطفل محور عملية التربية والتعليم، وكانت تستخدم اللغة القومية في التدريس، واستخدمت الطريقة الصوتية بدلاً من الهجائية. ولكن من عيوب هذه المدارس أنها كانت مفرطة في الشدة والقسوة، وكان التقشف فيها طابعا عاما، وأهملت روح المنافسة بين الطلاب خشية أن توقظ فيهم روح الاعتداد بالنفس.

## - التربية في القرن السابع عشر:

عرف القرن السابع عشر عددا من المربيين والمفكرين الذين نقلوا إلينا خلاصة أفكارهم وزبدة تجاربهم، وكان أكثرهم من رجال الدين الذين كانوا يتعهدون تربية بعض الأمراء، وبعضهم من الفلاسفة الذين قادتهم دراستهم للطبيعة البشرية إلى التفكير في مبادئ التربية.

وسنتحدث عن بعض المذاهب الأساسية وبعض المناهج وطرق التدريس البارزة في هذا العصر التي مهدت للإصلاحات التربوية اللاحقة.

### - التربية الواقعية:

كانت التربية الواقعية من أهم نتائج الثورة الفكرية التي ولدها عصر النهضة، والتي يعتبرها مؤرخو التربية أساسًا للحركة العلمية الحديثة.

وتهتم هذه التربية بالبحث عن الحقيقة وعن مظاهر الحياة الواقعية والطبيعية، وجعل الأساليب التهذيبية متلائمة مع البيئة والعصر، لا كما كانت عند اليونان والرومان. وبأن هذه الحركة الجديدة وليدة عصر النهضة والتربية الإنسانية، فقد كانت جامعة بين القديم والجديد في بدء انتشارها، وجديدة عالمية في أدوارها الأخيرة. وعلى هذا الأساس تنقسم التربية الواقعية إلى ثلاثة اتجاهات مختلفة: التربية الواقعية الإنسانية والتربية الواقعية الاجتماعية، والتربية الواقعية الحسية.

- **التربية الواقعية الإنسانية:** نشأت من فكرة التربية الإنسانية الضيقة، فالمربون الإنسانيون القدامى جعلوا اللغات القديمة وآدابها غايتهم القصوى من التربية. ولكن المربين الإنسانيين، مع تسليمهم بالواقعية إلا أنهم نظروا إليها كوسيلة لا كغاية، أي وسيلة يصلون بها إلى تطبيق المبادئ والأفكار التي جاء بها الأقدمون. ومن أشهر المربين الواقعيين الإنسانيين اراسموس ورابلية (1483-1553 م) وميلتون وقد أثرت كتابات رابلية في آراء مونتاني وروسو ولوك، حيث وجه نقده إلى التربية الكلامية، وطالب باستبدالها بتربية اجتماعية طبيعية أخلاقية دينية تبث في الطالب روح الحرية الفكرية والعلمية، وقال: يجب أن يتقن الطالب محتويات الكتاب وأفكاره لا ألفاظه والتراكيب. أما المواد التي طالب بتعليمها فهي جميع العلوم والفلك والكتب المقدسة والتاريخ والفلسفة....الخ. وقد مهدت هذه التربية إلى ظهور الواقعية الحسية فيما بعد.
- **التربية الواقعية الاجتماعية:** ويقصد بها تثقيف الطفل وتنمية استعداداته ليعيش بسعادة ونجاح في حياته المقبلة، أي ليكون رجل عمل يحسن الاستفادة من محيطه العملي. وانتقد أصحاب هذه التربية محتويات التربية الإنسانية، وقالوا عنها: إنها تصلح لتهيئة الفرد لحياته العملية وأشهر أصحابها المربي الفرنسي ميكائيل

مونتاني(1533–1592م)، الذي لم يهتم بدراسة الآداب القديمة، وركز على المواد التي يجب على الطالب دراستها، وهي: العلوم التي تفيد المرء في حياته المستقبلية فقط، فهو مادي نفعي بآرائه، وأكد على فهم الدروس وتطبيقها عمليا وليس استظهارها، وحضّ على الرحلة في طلب العلم أسوة بالرومان والمربين المسلمين، أما أثر الواقعية الاجتماعية على المدارس فقد كان ضعيفا جدا.

- **التربية الواقعية الحسية:** تظهر في هذه النزعة تباشير الحركة العلمية الحديثة وسميت بالتربية الواقعية لأنها تؤمن بالحصول على المعرفة عن طريق الحواس، لذلك فإن مهمة التربية الأساسية هي تدريب الفرد على حسن استخدام حواسه وتنمية قوتي الاطلاع والإدراك ليتمكن العقل من دراسة المظاهر الطبيعية وتعليلها، أما أهداف هذه التربية فهي:

* تطبيق الطرق الاستقرائية في أصول التدريس وأساليبه.
* استبدال اللغة اللاتينية باللغات القومية، والتركيز على العلوم الطبيعية بدلا من محتويات التربية الإنسانية اللغوية، ومن أشهر ممثليها المربي الانكليزي مولكاستر (1530 – 1611م) الذي طلب بتدريس اللغة الانكليزية بدلا من اللاتينية.

ومنهم أيضا فرنسيس بيكون (1561 – 1626م) الذي عمل في جامعة كمبردج وخرج منها ناقما على طرقها التدريسية، وعلى محتوى المناهج فيها. ومن أشهر كتبه كتابة الكبير "التجديد العظيم" الذي أخرج منه جزأين فقط من ستة أجزاء ثم وافته المنية، وفيه نقد التعليم الجامعي في عصره نقدا لاذعا وقدم اقتراحات لإصلاحه. ومن بين الانتقادات أن التعليم الجامعي في عصره يركز على الدراسات الإنسانية والنظرية، ويهمل الفنون والعلوم، ولا يهتم بالعمل التجريبي والبحث. كما أنه من أصحاب التأكيد على الطريقة الاستقرائية بدلا من الطريقة القياسية، ومن أهم أفكاره الهامة: إيمانه بأن العلم والفلسفة والحياة العقلية عامة يجب أن يكون لها هدف نفعي عملي، كما رأى أن هناك بعض العقبات التي تقف بين العقل البشري وبين إدراكه للحقيقة إدراكا موضوعيا دقيقا، وبالتالي تمنع من تقدم المعرفة والعلم، وقد أطلق على هذه العقوبات اسم الأصنام أو الأوهام وهي:

* أوهام القبيلة الكامنة في الطبيعة البشرية.
* أوهام الكهف أي الميول الشخصية للفرد.
* أوهام السوق المرتبطة بالعادات والتقاليد الاجتماعية.
* أوهام المسرح الناتج عن العقائد الدينية أو الفلسفية.

ورأى أن أنجع الطرق لدراسة الطبيعة والعلوم التجريبية هو المنهج الاستقرائي التجريبي.

ويعتبر المربي التشيكي جون كومينيوس(1592–1670م) من طليعة المربين الواقعيين الحسيين، وقد ولد في مورافيا ودرس فيها، ثم عين أسقفا للكنيسة البروتستانتية في بلده وقد عانى مشقة الاضطهاد أثناء حرب الثلاثين

بين الكاثوليك والبروتستانت، وأحرق منزله مرتين ونفي إلى بولندا، كما أحرق له قاموس كبير باللغتين اللاتينية والبوهيمية. وقد لقب بالمبشر الأول بالتربية الحديثة (وغاليليو التربية)، ومن أشهر مؤلفاته: التعلم الكبير أو المرشد الأكبر في التعليم، وباب اللغات المفتوح، وعالم المحسوسات المصورة.

وعرض نظرياته ومبادئه التربوية والتنظيم العملي للمدارس في كتابه (التعلم الكبير) الذين كتبه باللغة التشكيلية ثم أعاد كتابته باللاتينية، حيث قسم فترة التحصيل إلى أربعة أدوار: دور الطفولة الأولى من سن (1–6) وهو دور المدرسة الوطنية وتدرّس فيه اللغة القومية، ثم دور المراهقة من سن (12–18) وفيها يدخل الطالب المدارس اللاتينية أو الجمنازيوم وتقابل المدارس الثانوية اليوم، ومن سن (18–24) وهو دور التحصيل العالي في الجامعات يرحل الطالب لبلد أجنبي طالبا للعلم، وكان يزود كتبه بالرسوم والصور لتسهيل عملية التعلم.

**– التربية الترويضية الحديثة:**

وضعت نظرية الترويض العقلي في التربية والتعليم لتبرير وجود المادة الجامدة أي اللاتينية في المناهج الدراسية، وترى أن الفائدة المهمة من التربية والتعليم تنحصر في سير التعليم وما ينتج عنه من نضج عقلي، وتنطلق من أن العمل الفكري إذا أحسن انتخابه فإنه يولد ملكة أو قوة عقلية تفوق بأهميتها القوة والنشاط اللذان صرفهما الفرد في توليدها، وهذه القوة الصالحة لاستعمالها في مواضيع جديدة وتمت بصلة للموضوع الذي أنتجها.

ويعتبر الفيلسوف الانجليزي جون لوك(1632–1704م) واضع النظرية الترويضية في التربية والتعليم، ويرى أن العقل الرائد الأكبر، كما أن حب الحقيقة هدفه الأسمى، ولا يمكن الوصول إلى هذه الحقيقة إلا بالعقل، ولا يصل إلى فهم الحقيقة إلا إذا درب تدريبا قاسيا. وقد حمل على العقوبات الجسدية، أما نهج الدراسات لديه فهو المنهج الذي يتكون من الدراسات النافعة مثل: القراءة والكتابة والرسم (لفائدته العلمية) واللغة القومية وإحدى اللغات الحية، وينصح بتعلم الفرنسية فاللاتينية، والجغرافيا والحساب والفلك والهندسة والتاريخ (أجمل الدراسات وأنفعها)، والأخلاق والحقوق والتشريع السائد، وأخيرا العلوم الطبيعية، ثم مهنة يدوية تكون تاجا لتلك المعارف ويستخدمها للراحة والاستجمام.

## – التربية في القرن الثامن عشر:

نصل في قراءتنا للفكر التربوي عبر التاريخ إلى القرن الثامن عشر حيث كان الظلم في فرنسا مسيطرا في السياسة والفكر والدين والعمل، وكان الناس بانتظار قيام قادة حقيقيين لتحطيم هذه القيود. فقامت ثورتان: ثورة فكرية ترمي إلى كسر القيود على الفكر وتعرف"بعصر التنوير"، وثورة متممة للأولى وهي النزعة الطبيعية التي قامت مطالبة بحقوق الجماهير.

لقد كان عصر التنوير في أوروبا عصر البحث عن النفس في خضم المتغيرات المختلفة الجديدة، كما كان عصر تحديد الإطار الإيديولوجي الذي يجب أن تكون عليه الحياة في غرب أوروبا، فنتيجة للحركة الفكرية التي غمرت أوروبا جعلت الدول تعنى بمصالح شعوبها بدلا من العناية بالأسر المالكة وحدها. فبدأت تهتم بالتعليم وتوحيد الضرائب وتخفيف وطأة الحياة على الفقراء، وتشجيع معاهد التعليم والبحث. لذلك نستطيع القول بأنه بعد أن كانت السياسة وحدها تستغرق كل الجهود أصبح المجتمع مركز العمل ومحور التفكير.

لقد بدأ عصر التنوير بثورة هادئة مختلفة في الآراء والأفكار والتصورات حول مفهوم الفرد ومفهوم المجتمع ووظائف الدولة، مما مهد الطريق للثورة الصناعية (1750–1850م) التي أدت إلى استبدال العمل اليدوي بالعمل الآلي، وظهرت الاختراعات التي توجت باختراع الطاقة البخارية والتي أحدثت تغييرات كبيرة في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية، ويرى بعض العلماء أن العالم المعاصر تغير بسبب التقدم العلمي في مائتي سنة بدأت بالثورة الصناعية في الغرب أكثر من تغيره في ستة آلاف سنة سبقت الثورة الصناعية (1977).

وحركة التنوير تعلي من شأن العقل وتوظفه به في شؤون الحياة، وقائدها فولتير (1694–1778م)، أما الحركة الطبيعية فتعتبر العواطف وأهواء النفس الأساس الصحيح الذي يجب أن تقوم عليه التربية والاجتماع، وقائدها جان جاك روسو (1712–1778م).

وتتفق هاتان الحركتان في وجوه كثيرة إلا أنهما تختلفان من بعض الوجوه الأخرى، وأهم وجوه اختلافهم:

1) انتقدت حركة التنوير الكنيسة والعقائد الدينية، أما الثانية فقد وجهت نقدها للحياة السياسية والاجتماعية ودعت إلى إقامة نظام مثالي للحياة.
2) مجدت حركة التنوير العقل والثقة به، أما الحركة الطبيعية فقد مجدت العواطف القبلية والوجدان مدعية أن العقل الإنساني كثير الزلل.
3) حركة التنوير أرستقراطية تعمل على نقل السيطرة من رجال الكنيسة إلى رجال العلم والذكاء، أما الحركة الطبيعية فهي ديمقراطية تعمل على إسعاد العامة وإصلاح شؤونهم.
4) كان فولتير زعيم حركة التنوير من الطبقة الارستقراطية، بينما روسو وهو زعيم الحركة الطبيعية من عامة الشعب.
5) كان فولتير ملحدا، أما روسو فقد أبى الإلحاد غير أنه رفض معتقدات الكنيسة القديمة واتخذ له دينا سماه الدين الطبيعي.
6) كلاهما ركز على الطفل باعتباره أساس المستقبل.

لقد ولد جان جاك روسو في مدينة جنيف ونشأ فيها، تلك المدينة التي كانت مشهورة بنشاطها الفكري والخلقي، وكان لذلك أثره على وضع قانونه الطبيعي فيما بعد، فقد كان مغرمًا في مطلع حياته بالطبيعة يتجول في غابات وحقول مدينة جنيف.

وفي السادسة عشرة من عمره غادر جنيف متنقلاً في بلاد أوروبا، وكان كثير المطالعة، مما ساعد على نمو معارفه ومداركه وقدرته العلمية والفنية، وقد تأثر بكثير من المفكرين السابقين، ومن أبرزهم الراهب سان بيير(1658-1742م) في نظراته النفعية العملية وعنايته بالتعليم المهني، والسويسري كروزا الذي انتقد الطرق القديمة التي تجعل المعرفة اللاتينية واليونانية جوهر التربية، ودعمه لتعليم العلوم والتربية الخلقية، وآخرون غيرهم من أمثال سنيكا ومنيتني ولوك.

ومن أشهر مؤلفاته كتاب"إميل" الذي نشر لأول مرة عام1762م، وقسمه إلى خمسة أجزاء، شرح في كل جزء منها التربية المناسبة لمراحل نمو إميل كما سنرى.

وقد تضمن الكتاب بعض السمات والمبادئ التربوية الهامة والتي تعتبر بمثابة الإطار الفلسفي العام لروسو، ومن بينها ما يلي:

- الإيمان ببراءة الطفل وطبيعته الخيرّة، فروسو ينكر الخطيئة الأصلية، كما ينكر وجود أي انحراف أصلي في قلب الإنسان، وأما ما يطرأ من فساد وحقد وأنانية لاحقا فيرجع إلى البيئة الفاسدة التي يعيش فيها.
- الإعلاء من شأن الطبيعة ومراعاة قوانينها في تربية النشء، وهو يؤمن بضرورة التربية للإنسان لأنها تصقل شخصيته، والتربية في نظره تأتينا من الطبيعة والناس والأشياء، فنمو وظائفنا وجوارحنا الداخلية ينجم عن التربية الطبيعية لنا، وتأتينا من الناس فما نتعلمه من خلال نمونا هو تربية الناس لنا، وتأتينا التربية أيضًا من الأشياء، فما نكسبه بخبرتنا عن الأشياء، إنما هو تربية الأشياء.
- التأكيد على أهمية التربية السلبية حتى سن الثانية عشرة تقريبا، وهي التربية التي تكون وفقا لقوانين الطبيعة والتي تخالف التربية التقليدية.
- الإيمان بأن الطفل بخصائصه وميوله وحاجياته الحاضرة هو مركز عملية التربية لا حاجات الكبار وميولهم وقيمهم، وأكد أهمية التمييز بين الأعمار ومراحل النمو المختلفة وإقامة التربية على هذا الأساس، وأنها مستمرة مدى الحياة، وأنها عملية تنبع من الداخل نتيجة احتكاكنا بالبيئة، كما أن أهداف التربية ومناهجها والخبرات والطرق التي تتبع لتحقيق هذه الأهداف يجب أن تكون مناسبة أيضا لمراحل نمو الطفل.
- الاهتمام بالأسفار والرحلات في توسيع الأفق العقلي للطفل، وتغني تجاربه وتزيد من معرفته بثقافات الشعوب الأخرى، كما تغير اتجاهاته ومفاهيمه نحوها وتهذب أخلاقه.

- الإيمان باختلاف طبيعة المرأة عن الرجل، لذا يجب أن تكون وظيفتها في الحياة وتربيتها مختلفة عن وظيفة الرجل وتربيته.

وفيما يلي فكرة موجزة عن أقسام كتاب "إميل" الذي ينقسم إلى خمسة أجزاء:

- **الجزء الأول:** التربية من سن (1–5 سنوات) ويركز فيها على التربية الجسمية للطفل من قبل أبويه باعتبارهما المربيين الطبيعيين له، فيجب الإكثار من النزهات والألعاب والتمارين المفيدة، ونهى عن معاقبة الأطفال لأنهم في هذه المرحلة لا يدركون معنى العقاب وسببه، ومراعاة ميولهم الطبيعية وترتيبها، وعدم الاعتناء بالتربية العقلية.
- **الجزء الثاني:** التربية من سن(5–12 سنة) وهي أيضا تربية جسمية، ويجب أن يسير المربي فيها وفقا للتربية السلبية، والاعتناء بجسم الطفل وأعضائه وحواسه وقواه، وعلى المربي أن لا يمس روحه، وتدريب الحواس يكون بتعريضه للمظاهر الطبيعية، وتركه يلبيها حسب طبيعته لا كما نريد نحن له، علينا أن ندعه يقيس ويزن ويعد ويرسم في نفسه الخطط التي يريدها، ولا يبتدئ عمل المربي الحقيقي إلا عند بلوغ الطفل سن الثانية عشرة من عمره.
- **الجزء الثالث:** التربية من سن(12–15 سنة) وهي تربية عقلية، فعلى المربي تلقين الطفل الحقائق بالإلهام دون أن يعلمها له، وذلك بتنبيه إلى مظاهر الطبيعة المختلفة، وتوجيهه مع التساهل معه في السماح له بقراءة بعض الكتب شريطة أن تكون في متناول قدرته، أما المقررات التي يراها مناسبة لإميل فهي: العلوم الطبيعية والفلك والجغرافيا، مع تعليمه مهنة ليكسب بها عيشه.
- **الجزء الرابع:** التربية من سن(15–20 سنة) وهي تربية خلقية ودينية كالتركيز على القواعد الخلقية عن طريق الشفقة والكرم، وذلك بمشاهدة الموافق الإنسانية المختلفة، واتخاذ الأساتذة قدوة، أما الدين فيرى روسو وجوب تأخيره إلى سن الثامنة عشرة، ودين إميل هو الدين الطبيعي المتمثل في منح الشاب الحرية في اختيار المبدأ الذي يريده دون إكراه على دين معين.
- **الجزء الخامس:** وفي الجزء الأخير من كتابه يعالج تربية المرأة، حيث إن تربيتها تتوقف على مستقبلها مع زوجها لا على استعداداتها وميولها الشخصية، لذا يجب أن لا تتعلم العلوم، فالمرأة المتعلمة وباء زوجها وأصدقائها وأولادها والناس جميعًا.

والنزعة الطبيعية لم يكن لها أثر سريع في المدارس الأوروبية، وغاية ما قامت به هو توجيه أفكار المربين لاحقا إلى ضرورة مراعاة ميول الطفل واحترام طبيعته. ففي فرنسا لاقت إقبالا عظيما من عامة الشعب، أما الأشراف ورجال الدين فقد قاوموها، وحكموا على روسو بالسجن، ففر هاربًا.

أما الصفات العامة للتربية في هذا القرن فهي:

1) تغلب الروح العلمانية على روح الكنيسة، وتمثل ذلك بطرد اليسوعيين من ميدان التربية والتعليم في فرنسا وقيام الثورة الفرنسية.

2) تميزت بالنزعة النقدية الإصلاحية، فقد كان عصر لويس الرابع عشر عصر الراضين، أما عصر فولتير وروسو فكان عصر الناقمين.

3) ظهور الروح الفلسفية التي تربط النظريات التربوية بقوانين الفكر الإنساني.

4) النزوع نحو الناحية القومية بالإضافة إلى الجانب الإنساني، وحلول الاستعداد للحياة محل الاستعداد للموت، وبذلك نضجت فكرة التربية الشعبية العامة القومية.

5) صارت التربية إنسانية باهتمامها بحاجات الإنسان المتعلم أكثر من اهتمامها بالمادة العلمية.

## -التربية في القرن التاسع عشر:

لقد كان عصر التنوير عصر الثورات بحثا عن النفس، بينما كان القرن التاسع عشر عصر بلورة الآراء والأفكار والنظريات والمبادئ وتحولها إلى واقع، إنه عصر التقدم التكنولوجي. لقد بدأ باستقلال أمريكا عن أوروبا سياسيا، وإن بقيت تابعة لها من الناحية الفكرية، وكان مقدمة للاستقلال الفكري التدريجي لأوروبا مما مهد الطريق لها لتصبح قائدة العالم الغربي الرأسمالي في القرن العشرين. وفي بداية هذا القرن تولى نابليون بونابرت(1769-1861م) السلطة في فرنسا وكان له تأثير كبير على فرنسا خاصة وأوروبا عامة.

لقد انتشرت الروح القومية في أوروبا كإحدى ثمرات الثورة الصناعية فيها، وحلّ التعصب الديني الذي كان سائدا من قبل، وقد كان للتطور العلمي الكبير الذي حقق أثر في دعم وتوطيد سلطات الدولة ومفهومها على حساب الكنيسة وخاصة في مجال التعليم، حيث أصبح ذا صيغة دنيوية، وأدخل نظام تعليم قومي خاضع للدولة، وأصبح كل شيء في الحياة يسير لتدعيم سلطانها، لقد كان للثورة الفرنسية تأثير كبير وخاصة باعتبارها الرائدة للتغيير الإيديولوجي الذي طرأ على الغرب في هذا القرن، وانعكس ذلك على مجال التربية والتعليم ومختلف مجالات الحياة، فكان نابليون يؤمن أن مسألة التعليم هي من أهم المسائل السياسية أيضا، حيث لن تكون هناك دولة سياسية قوية وذات استقرار متين، ما لم تكن لديها مؤسسات تربوية تدرس فيها المبادئ المقررة منذ الصغر لتعزيز التجسيد الحقيقي للأمة، فقرر عام 1806م إنشاء (الجامعة الإمبراطورية) التي لم تكن جامعة أكاديمية، وإنما وزارة مركزية للتربية تشرف على إدارة التعليم في فرنسا، فنشأ نظام التعليم المدني الحديث مستقلا عن المدارس الكاثوليكية، ومنذ ذلك التاريخ صار نظامان فرنسيان للتعليم أحدهما مدني تشرف عليه الدولة، والآخر ديني تشرف عليه الكنيسة ومستقل عن سلطة الدولة.

لقد أصبحت القضايا التربوية من القضايا الحياتية، وركز في المناهج على حاجات واهتمامات المتعلمين، وهذا كان تتمة للنزعة الواقعية بأقسامها الثلاثة.

لقد بوشر بوضع التطبيقات التربوية انطلاقا من الأسس العلمية، أي أن التربية العملية ( Practical Education) أصبحت هي الأساس، بالإضافة إلى الاعتماد على المشاهدة والتجربة التي بدأت بوادرها في الظهور قبل هذا القرن، ولكنها تعمقت ونمت وأصبحت جزءا من آليات المجتمع، وازداد في هذا القرن الاهتمام بالأسس النفسية للعملية التعليمية والتركيز في المناهج بصورة واضحة على التربية القومية.

وقد كانت النزعة السيكولوجية – كالنزعتين العلمية والاجتماعية– وليدة نزعة روسو الطبيعية، أما خواصها فكانت متشابهة مع الحركتين العلمية والاجتماعية اللتين سادتا في هذا القرن، وقد تميزت النزعة السيكولوجية بمايلي:

- تطبيق مبادئ روسو الطبيعية في أصول التدريس، عن طريق تنمية القوى والقدرات والطاقات الكامنة في الإنسان، وليس بحشو المعلومات في عقول الأطفال، وهوما يؤكد أهمية الأخذ بعين الاعتبار حاجات الأطفال وميولهم وقدراتهم عند تربيتهم.
- الاهتمام بالتربية الابتدائية باعتبارها القاعدة الأساسية في التربية والتعليم وحقا طبيعيا يجب أن يتمتع به جميع الأفراد.
- التركيز على عملية إصلاح الشؤون بشكل منتظم ومتناسق.
- الاهتمام بدراسة العقل البشري وطرق التفكير على أسس علمية، وجعل هذه الدراسة منطلقا للتربية الحديثة، ويعتبر بستالوزي وهربارت وفروبل قادة للنزعة السيكولوجية العلمية.

فبستالوزي (1746–1827) تتلخص آراءه التربوية في:

1) يوجب البحث عن مبادئ التربية داخل الطفل، وأن تبدأ منه لا أن تفرض عليه من تاريخ.

2) يوجب تنمية قدرات الطفل الجسمية والعقلية والخلقية.

3) للتربية ناحيتان، ناحية إيجابية وأخرى سلبية، وتتمثل الوظيفة السلبية للمربي في إزالة العقبات التي تعترض نمو الطفل، أمَّا الإيجابية فتتمثل في توجيه المتعلم لتدريب قواه، فالمعلم يمده بالوسائل والفرص المناسبة ويرشده إلى الصواب.

4) يبدأ النمو الذاتي عندما يتأثر العقل بالموضوعات الخارجية، ويقصد بها الإحساسات، وعندما يعيها العقل تتحول إلى مدركات حسية، وتسجل في العقل على أنها إدراك لأفكار، وهذه تكون المعرفة الأولية التي تصبح أساسا لكل معرفة.

5) تعتبر التلقائية والنشاط الذاتي الظروف الضرورية التي في ظلها يعمل العقل نفسه ويحصل على القوة والاستقلال.

6) تعتمد القدرات العلمية على العادات التي تكونت من تكرار وتدريب قوى المتعلم أكثر من اِعتمادها على مجرَّد المعرفة العلمية، فيجب أن ترتبط المعرفة بالعمل، ولعل غرض التربية الرئيسي هو تنمية قوى المتعلم.

7) يجب أن تؤسس تربية الطفل على التأمل وخبرته الشخصية، وهذا هو الأساس الصحيح الذي يستمد منه كل معلوماته، فالملموس سابق للرمز المعنوي.

8) يستطيع الطفل بعد أن رأى وتأمل، بعد أن أصبح هذا العمل جزءا من خبرته أن يصف الشيء بأسلوبه وكلامه، وعلى قدر وصفه من حيث شموله أو نقصه، عمقه أو سطحيته نستطيع أن نحكم على دقة تأمله، وبالتالي نعرف مدى معلوماته.

9) تؤدي الخبرة الشخصية إلى تقدم عقل المتعلم من القريب الملموس إلى البعيد المعنوي، ومن الخاص إلى العام، ومن المعلوم إلى المجهول.

10) يجب أن تكون المحبة أساس العلاقة بين المعلم وتلاميذه، وأن تكون الركيزة التي يبنى عليها لنظام المدارس.

أما النزعة العلمية الحديثة فقد كانت بذورها مأخوذة عن التربية الواقعية، فلو تتبعنا نشوء الحركة العلمية في عصر بيكون إلى أوائل القرن التاسع، لوجدنا أن هناك عدة عوامل أثرت على تطورها متمثلة في النزعة الطبيعية التي قدرت أهمية دراسة الطبيعة، والنزعة السيكولوجية، والعلوم البيولوجية والطبيعية إلى أن جاء القرن التاسع عشر وهو عصر العلوم، ومن مميزات النزعة العلمية الحديثة التي كان من أشهر قادتها سبنسر (1860–1903) ما يلي :

**أولا:** الاهتمام بمادة الدرس ودراسة المشاهد والمظاهر الطبيعية.

**ثانيا:** الاعتراف بقيمة الطريقة الاستقرائية في دراسة الطبيعية.

كما أن الناس في هذا القرن بدأوا يشعرون بأهمية إدخال اللغات العصرية الحية إلى المناهج، لما لها من علاقة بحياة الإنسان العلمية، وأخذوا يقدرون أهمية العلوم الطبيعية بسبب الاكتشافات والاختراعات وتطبيقها في الحياة العملية، فتغير شكل الثقافة التي تقتضيها الحياة العصرية الحاضرة. وللنزعة العلمية الحديثة الفضل الأكبر في إدخال العلوم الأولية في المناهج الأولية والثانوية والعالية، وقيام علم النفس على أساس عملية حديثة.

واختلفت النزعة الاجتماعية التي تطورت في هذا القرن عن النزعة النفسية، التي ركزت على حياة الطفل النفسية وطرق التدريس وأصوله، وعلى التربية المهمة في نمو الفرد التدريجي، فقد ركز علماء الاجتماع على تنمية المجتمع، وقالوا إن غاية التربية تنحصر في تهيئة الفرد للنجاح في الحياة الاجتماعية باعتباره عضوا فيها، ولهذه النزعة ميزتان هما:

1) الاعتناء بجعل مادة الدرس ملائمة لكل طور من أطوار التربية، أي من حديقة الأطفال إلى الدراسة العالية في الجامعات.

2) إعادة النظر في المناهج لتصبح قادرة على تلبية المطالب الاجتماعية، وإهمال التراث اللغوي والأدبي في المناهج.

## -التربية في القرن العشرين:

### - مفهوم التربية الحديثة:

تميز هذا القرن بعدد من الملامح التي عبرت عن نفسها بانتشار الحرية بين الشعوب، وظهور مبادئ الديمقراطية في العدالة والمساواة في حقوق الأفراد، ثم الثورة العلمية التكنولوجية التي أدت إلى تطبيق العلوم والمعارف الإنسانية المختلفة في ميادين الحياة. وكذلك ظهور مفاهيم التربية الحديثة، وما استندت إليه من مبادئ تربوية مهمة ساهمت في ازدياد رفاه الإنسان وسعادته.

والآن ماذا نقصد بالتربية الحديثة؟ إن كلمة حديثة هي كلمة نسبية، فما هو حديث في عصر ما يصبح قديما في عصر آخر، وهذا ينطبق على التربية والتعليم وسواها وخاصة أن التغير الاجتماعي هو سمة الحياة... وقد أطلق على التربية في مطلع هذا القرن اسم (الحديثة أو الجديدة).

ولو نظرنا إلى هذه التربية الحديثة من منظور الخبرات التربوية في يومنا هذا لوجدنا أنها بدأت تفقد الكثير من سحرها وحداثتها على الرغم من أن أسسها ومبادئها مازالت قائمة.

إن رجال التربية والتعليم يعرفون جيدا الثورة الجديدة التي تحاول أن تغير المنطلقات السائدة بالتربية الحديثة، بل وتحاول أن تضع موضع التساؤل النظام المدرسي برمته، فمثل هذه الثورة التي بدأت تتشكل بعد منتصف هذا القرن تخالف ما كان يعرف في بدايته وحتى منتصفه باسم (التربية الحديثة).

إن المنطقيات الجديدة تدعو إلى تغيير إطار المدرسة التقليدي، إطار المعلم والتلميذ والصف بالوسائل التكنولوجية التعليمية الحديثة كالراديو، والتلفزيون، والعقول الالكترونية، ووسائل التعلم الذاتي، وإلى تقديم تربية عبر مراحل العمر كلها من المهد إلى اللحد، بالإضافة إلى تربية أفراد المجتمع كلهم تتنوع حسب اهتماماتهم واحتياجاتهم.

2-6-4 **مبادئ التربية الحديثة:** إنَّ أهم المبادئ الأساسية للتربية الحديثة هي:

- **تقدم التربية على التعليم:** لقد أولت التربية القديمة عناية خاصة لكسب المعرفة، فجعلت اهتمامها الأول تقديم المعلومات للمتعلمين، إلا أن التربية الحديثة تعتبر أن التعليم جزء من التربية العامة، وأن هدف المدرسة هو التربية ،أي تكوين الطفل تكوينا متكاملا بحيث لا يغدو فقط أكثر علما ومعرفة، بل أكثر نضجا ونموا وتفتحا، وأقدر على التفكير والمحاكمة، وأكثر امتلاكا لوسائل التعليم وأدواته من خزن المعلومات الجديدة التي لا تلبث أن تنسى، مع

أهمية معرفة أساسيات المعرفة، وهكذا أكدّت التربية الحديثة على أن المعرفة وحدها لا تحقق النجاح لأنها لا تحقق لصاحبها روح المبادرة والإبداع ولا تزوده بحس التنظيم وروح القيادة.

- **استناد التربية إلى علم النفس:** لا أحد ينكر استناد التربية القديمة إلى علم النفس، لكنها استندت إلى علم النفس القديم الذي كان معروفا في ذلك الوقت، والذي كان علما نفسيا يركز على الملكات العقلية بالدرجة الأولى، مما أدى إلى إهمال النوابض العاطفية التي تسير حياة البشر، وإهمال أثر البيئة المحيطة على الطفل، بينما أكد علم النفس الحديث الدور الأساسي الذي يلعبه الاهتمام والميل والفروق في حياة الإنسان، وانعكس هذا على التربية الحديثة فغدت اهتمامات الطفل وميوله والفروق الفردية عند البشر محورها ورائدها، وانطلقت من دوافع الإنسان وحاجاته.

كما أن علم النفس التقليدي عامل الصغير والكبير بأسلوب واحد، وزعم أن الطفل الصغير يسلك مسلك الراشد، وانعكس هذا على التربية التقليدية التي عاملت الصغار بمنطق الكبار، بل قست على الصغار أكثر من قسوتها على الكبار.

- **الطفل محور التربية:** أكدت التربية الحديثة على أهمية الانطلاق من الطفل نفسه، من قابليته وميوله وطباعه ومقومات شخصيته، فهو المركز الفعلي للعملية التربوية، بعكس التربية التقليدية التي جعلت مركز الثقل في العملية التربوية ليس الطفل نفسه بل المناهج والمعلم والامتحانات والنظام المدرسي، فأصبحت هذه كلها غاية التربية بدلاً من الغاية المركزية وهي تكوين شخصية الطفل.
- **الاستقلالية:** لقد امتازت التربية التقليدية في أنها تقوم على مبدأ السلطة، فالطفل متلق وعليه قبول ما يصدر عن المعلم دون إبداء رأيه في ما يتعلمه، ولكن التربية الحديثة تقوم على مبدأ الحرية، والاستقلال في التفكير، والنقد من خلال الحوار، فالمعلم والمتعلم عبارة عن حدين متكاملين، وقد نادى بالاستقلالية الذاتية معظم رواد التربية الحديثة وعلى رأسهم جون ديوي في كتابه (الخبرة والتربية)، ويجب علينا أن لا نخلط بين الاستقلالية والفوضى، فالاستقلالية لا تعني التمرد على القوانين والقواعد المرعية، يقول فيريير: إن إدخال الاستقلال إلى المدرسة يحرر الطالب من وصاية الراشد الشخصية ليضعه تحت وصاية ضميره الخلقي، ويؤكد الكثير من المربين على أن الحرية هي الخضوع للقانون، فالقانون نظام عقلي فلا استقلال في سلوك لا يسيره العقل.
- **تربية فردية وسط روح جماعية:** تتضمن التربية الحديثة مطلبين يَبْدُوَانْ لأول وهلة وكأنهما متعارضان، فترى أن تكون التربية فردية تتيح للفرد تحقيق كل إمكانياته التي تميزه عن سواه، فنجد المدارس الحديثة تتيح للفرد الحرية في اختيار النشاط الذي يناسبه واختيار مواد الدراسة التي سوف يتعلمها، وما وظيفة المدرس إلا التوجيه والإرشاد فقط، ورغم ذلك فإن المدارس الحديثة تسعى لتنمية الروح الجماعية بين الطلاب لمحاربة الأنانية، فتشجعهم على العمل التعاوني المدرسي بمختلف مجالاته.

## - طرق ومناهج التربية الحديثة:

إن طرق ومناهج التربية الحديثة كثيرة ومتنوعة ومنتشرة في مختلف بلاد العالم، فمنها طريقة منسوري، ومراكز الاهتمام، وطريقة دالتون، وطريقة المشروع، ومدارس العمل، ولا يتسع المجال لشرحها هنا ولكن سوف نركز على أبرز هذه الطرق وهي طريقة المشروع في مرحلة المراهقة، وإلى فروبل الذي أوضح في كتابه (تربية الإنسان) أهمية النشاط الذاتي للمتعلم، وكيفية الاستفادة من الهدايا. وإلى بستالوزي الذي بين أهمية تعليم الأشياء قبل الأقوال، وقد استعمل هذه الطريقة الكثير من المربين، إلا أن هذه الطريقة تظل وثيقة الارتباط بكلباتريك.

لقد عرف كلباتريك المشروع بأنه الفعالية الهادفة المطبقة في مجال اجتماعي ضمن نطاق المدرسة، وفي عام 1921م نقّح التعريف فأصبح عنده "أي وحدة أو فعالية أو تجربة ذات دوافع داخلية موجهة نحو هدف معين". وتستهدف هذه الطريقة أمرين أساسيين:

**الأول:** تقديم محتوى مشخص حي للتعليم بدلا من المحتوى اللفظي.

**الثاني:** إتباع المجرى الطبيعي لاكتساب المعرفة بدلا من التعليم التلقيني.

أما الأسس النفسية لهذه الطريقة فهي:

أ. مبدأ الاهتمام بطبيعة المتعلم واعتبارها المحور الرئيس.

ب. مبدأ النشاط الذاتي، والتعليم عن طريق العمل.

ج. مبدأ الحرية في التعلم.

أما الأسس الاجتماعية لهذه الطريقة، فتنطلق من اعتبار أن المدرسة مؤسسة اجتماعية، والنظر إليها على أنها صورة للحياة الاجتماعية، وأنها هي الحياة نفسها.

وطريقة المشروعات تقسم قسمين رئيسيين هما:

- **المشروعات الفردية:** وهي نوعان: فإما أن يعطي مشروع واحد لجميع الطلبة في الصف، وإما أن تكون هنالك مشروعات مختلفة توزع على طلاب الصف ويكون لكل طالب مشروع معين.
- **المشروعات الجماعية:** وفيها يعمل الطلاب معا في مشروع واحد.
- **خطوات طريقة المشروع:**

يتألف المشروع من الخطوات التالية: تحديد الهدف، ورسم الخطة، وتنفيذ المشروع، وتقويمه. وتواجه هذه الطريقة بعض الصعوبات عند تنفيذها، بعضها يرتبط بإدارة الصف والآخر باختيار المشروع. وبعضها يتعلق بالارتباط والتسلسل في منهاج الدراسة وأخيرا تنسيق المشروعات مع تنظيم المدرسة التقليدية.

ومن أشهر المربين في القرن العشرين جون ديوي ووليام كلبا تريك، وجورج كاونتس، وبويد بود، وجون تشايلدز،و"هاور لدرج" و"كارلتون واشبورن"، وسنتعرف على أكثرهم شهرة في العصر الحديث وأهم آرائه التربوية.

## – جون ديوي (1859–1956):

يعتبر من أشهر المربين في القرن العشرين، ولد في مدينة بور لنجتون من ولاية فيرمونث في أمريكا، وقد تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدينته ثم الجامعي في جامعة ولايته، وبعد فترة عمل حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة جون هوبكنز، وانضم بعد ذلك إلى جامعة ميتشيغان كمحاضر للفلسفة إلى أن دعي لرئاسة قسم الفلسفة في شيكاغو واستمر فيها حتى انتقل إلى جامعة كولومبيا وفيها تقاعد عام 1930.

وقد نال جون ديوي شهرة كبيرة كفيلسوف مفكر ومصلح تربوي كبير ليس في أمريكا وحدها بل في العالم، ومن أبرز أعماله في الميدان التربوي إنشاؤه المدرسة النموذجية في مدينة شيكاغو 1896 م، وقد اتخذ منها حقلا لتجربة نظرياته وآرائه التقدمية في التربية، ثم ضمت إلى كلية التربية في جامعة شيكاغو كمدرسة تطبيقية لها. ومن أشهر مؤلفات جون ديوي بالإضافة إلى مئات المقالات ما يلي: "المدرسة والمجتمع" و"الديمقراطية والتربية" و"الخبرة والتربية" و"كيف نفكر" و"الطبيعة البشرية والتربية".

ومن العوامل التي أثرت على أفكار جون ديوي أفكار الفلاسفة والعلماء والمربين الذين اتصل بهم شخصيا عن طريق كتابتهم، ومنهم جورج موريس، و"دارون" و"تشارلس بيرس" و"وليام جيمس". كما تأثر بأفكار "ستانلي هول"، وببعض أفكار "روسو" و"بستالوزي" و"هربارت" و"فروبل" وغيرهم من المربين، كما تأثر إضافة إلى ذلك بالمبادئ التي تقوم عليها الحياة الديمقراطية، والقيم السائدة في المجتمع الأمريكي، وخصائص ومتطلبات المجتمع الصناعي، وقد وضع ديوي فلسفة تدعى" الفلسفة التجريبية المثالية".

أما أهم أفكار جون ديوي التربوية تتمثل في إيمانه بأن التربية هي الحياة وليست مجرد إعداد للحياة، وبأنها عملية نمو، وعملية تعلم وعملية بناء وتجديد، وعملية اجتماعية فالهدف الأعلى للتربية عنده هو تحقيق استمرارها، أو بعبارة أوضح إن هدف التربية هو أن تساعد الفرد على أن يستمر في تربيته وبالتالي نموه وتعلمه وتكيفه مع بيئته

وحياته، فينبغي أن لا يكون للتربية أهداف مفروضة عليها من الخارج، وفيما يتعلق بمناهج الدراسة ينتقد ديوي بشدة المفهوم التقليدي للمنهج الذي يقوم على تقسيم المنهج إلى مواد منفصلة وترتيبه ترتيبا منطقيا.

وليس المركز الحقيقي للمنهج في نظره هو المواد منفصلة عن بعضها البعض، بل مركزه الحقيقي هو نشاطات الطفل الذاتية وخبراته، فمن هذه النشاطات والخبرات يتكون المنهج، وبها يجب أن تبدأ المدرسة، وهي تتألف من ثلاث مجموعات أساسية:

المجموعة الأولى تتكون من أوجه النشاط والأعمال اليدوية التي تدور حول عدد من المهن الاجتماعية السائدة، والمجموعة الثانية من الأنشطة التي تتصل بالمواد الدراسية التي تساعد على فهم الحياة الاجتماعية كالتاريخ والجغرافيا والعلوم والفن، والمجموعة الثالثة للأنشطة تشمل على الدراسات والخبرات التي تمكن التلميذ من تنمية قدرته على الاتصال والبحث العقليين كالدراسات المتصلة بالقراءة والكتابة والحساب.

ويرى جون ديوي أنَّ المدرسة هي أولا مؤسسة اجتماعية والتربية في أساسها عملية اجتماعية، فالمدرسة صورة الحياة الجماعية التي تتركز فيها جميع تلك الوسائط التي تهيئ الطفل إلى المشاركة في ميراث الجنس، وإلى استخدام قواه الخاصة لتحقيق الغايات الاجتماعية.

وفي المدرسة المثالية يتم التوفيق بين المثل الفردية والاجتماعية، وبالتربية يستطيع المجتمع أن يصوغ أغراضه الخاصة به، وأن ينظم وسائله ومواده، فيشكل بذلك نفسه في غير إسراف ليسير في الاتجاه المرغوب.

## 3-الأسس الفلسفية للتربية:

كلمة الفلسفة (Philosophy) ذات أصل يوناني، ويعتبر فيثاغورس (582-500 ق.م) أول الفلاسفة الذين وضعوا لها معنى وهو (حب الحكمة)، وتتألف من مقطعين: الأول « فيلو» (Philo) وهو مشتق من كلمة (Phi-los) اليونانية وتعني: حب، والمقطع الثاني « صوفيا » (Sophia) وهو مشتق من كلمة (Sophos) اليونانية وتعني: حكمة أو معرفة،ويعرفها فيني (Finney)فيقول: إن الفلسفة " هي ذلك العمل العقلي النقدي المنظم الذي يهدف إلى تكوين المعتقدات، حتى تتميز بدرجة عالية من الاحتمال، حين تكون المعلومات المناسبة لا يمكن الحصول عليها للوصول إلى نتائج تجريبية تماماً ".

وللفلسفة في عصرنا الحاضر عدة وظائف هي:

- تقوم الفلسفة بعملية نقدية، أعلى من مستوى النقد الذي تقوم به العلوم الأخرى، فعندما يقوم العالم بتجربة ما فإنه يستخدم مفاهيم وفروضًا يسلم بها قبل البدء بالتجربة، ولا يحاول أثناء التجربة أو بعدها أن يفحص هذه المسلمات

أو أن يعيد النظر فيها، وهنا تأتي مهمة الفيلسوف الذي يفحص ويدقق فيما إذا كان العالم على حق في تسليمه بتلك المسلمات.

- توضيح العلاقات المختلفة التي توجد بين العلوم وميادين الخبرة البشرية .
- الدور التأملي الذي كانت تقوم به الفلسفة قديمًا كان منفصلا عن ميدان الخبرة الحياتية، مما جعل الناس تنفر منها، أما التأمل الذي تقوم به الفلسفة حاليًا فيربط بالواقع المعاش والخبرة الإنسانية ومشكلات الحياة.

إن من أهم الميادين والموضوعات التي تشتمل عليها الفلسفة في العصر الحديث:

1- الميتافيزيقا ويسميها بعض العلماء: ما وراء الطبيعة (الغيبيات)، ومن فروعها:

- الكونيات (Cosmology)، وهو العلم الذي يبحث في طبيعة الكون وتركيبه، وأصله وما فيه من مبادئ ومفاهيم وطبيعة الزمان والمكان، والخلود والفناء ...
- الوجود الإنساني، ويبحث في أحوال الإنسان وطبيعة وجوده، وما هو فيه من مواقف حدية: الوجود والماهية، والألم والموت، والخطيئة، والكفاح...
- الله سبحانه وتعالى والبرهنة على وجوده بالعقل.
- الوجود(Ontology) وهو العلم الذي يبحث في الوجود، هل هو مادي أم روحي، أم مزيج منهما؟.
- الغائية(Teleology)، وهو العلم الذي يبحث في العلل الغائية، التي ترى أن الكون منظم على أساس غايات، وعليه تفسر الحوادث على أساس النتائج لا على أساس السوابق.

2- المعرفة (Epistemology) وهو العلم الذي يتناول بالبحث علمية المعرفة وهل هي ذات طبيعة تجريبية؟ ما هي حدود هذه المعرفة؟ وهل هي احتمالية أم يقينية؟ وكل ما يتعلق بنظرية المعرفة.

3- القيم (Axiology)، تتناول بحث المثل العليا، والقيم المطلقة، وتتضمن علم المنطق، وعلم الأخلاق، وعلم الجمال.

**فعلم المنطق** (Logic) يضع القواعد التي تجنب العقل الوقوع في الخطأ، و تبحث فيما ينبغي أن يكون عليه التفكير السليم.

**علم الأخلاق** (Ethics) وهو العلم الذي يحدد المثل العليا الضابطة للسلوك الإنساني، أي يبحث فيما ينبغي أن تكون عليه سلوكيات الإنسان.

**علم الجمال** (Aesthetics) ويحدد المستويات التي يقاس بها الجمال.

- **فلسفة التربية:** هو من الميادين الحديثة في القرن العشرين حيث بدأت المجتمعات تعيد النظر في نظمها التربوية حتى تساير مختلف التغيرات الاجتماعية والسياسية و الاقتصادية... والمقصود بفلسفة التربية

الميدان الذي يبحث في المشكلات الفلسفية و الاجتماعية من الزاوية التربوية، وينمي علاقة التربية بغيرها من ميادين الاهتمام الإنساني.

وتتضح أهمية فلسفة التربية في ما يلي:

- تساعد على فهم العملية التربوية بعمق، وتعديلها والعمل على اتساقها.
- تساعد على رؤية العلم التربوي في كليته، وفي علاقته مع مظاهر الحياة الأخرى.
- تمد الباحث بالوسائل للتعرف على صعوبات تطبيق النظريات التربوية.
- تنمي قدرة الإنسان على إثارة الأسئلة مما يساعد على تحقيق حيوية التربية وإستمراريتها.

***الفلسفات التربوية:***

***1-الفلسفة المثالية Idealism***

ترجع أصول هذه الفلسفة إلى أفلاطون (429 -347 ق.م) الذي يعتبر أبا للمثالية. وقد اعتقد بوجود عالمين: العالم الحقيقي الذي توجد فيه الأفكار العامة الحقيقية الثابتة، والعالم الواقعي الذي هو ظل العالم الحقيقي،وقد نشر أفكاره التربوية في كتابيه (الجمهورية)و(القوانين).

وتقوم الفلسفة المثالية على تمجيد العقل والروح والتقليل من دور المادة، وقد تأثرت فيما بعد بالديانة المسيحية طوال العصور الوسطى وحتى عصر النهضة والإصلاح الديني أي في الفترة من عام 467م- 1690م، فقد اعتقدوا بوجود الحقيقة النهائية في عالم المثل المنفصل عن العالم الأرضي الذي نعيش فيه.

ثم تأثرت هذه الفلسفة لاحقاً بأفكار كثير من الفلاسفة مثل ديكارت الفرنسي (1569-1650م)، وسبينوزا (1632-1677م)، والأسقف باركلي (1680-1753م)، وعمانوئيل كانت الألماني (1724-1804م) وهيجل الألماني (1770-1831).

وكان لهذه الفلسفة تأثير عميق على حياة الشعوب شرقاً وغرباً، وكان للديانتين اليهودية والمسحية أثر كبير على انتشار الأفكار المثالية على نطاق واسع.

من أهم المبادئ الأساسية للفلسفة المثالية ما يلي:

-**طبيعة العالم:** تنظر إليه نظرة ثنائية، فهناك عالم الأفكار الحقيقي، وعالم الخبرات اليومية (العالم الأرضي)، وفيه يفرح الإنسان ويغضب ويمارس نشاطاته والإنسان مكون من روح وجسد أو عقل ومادة.

-**طبيعة الحقيقة:** إن الحقيقة النهائية توجد في عالم آخر، هو عالم الأفكار أو عالم الحقيقية المطلقة، وهي ليست نتاج الفرد أو المجتمع لأنها مطلقة وشاملة، ويمكن للعقل معرفتها عن طريق الإلهام أو الحدس أو عن طريق العقل المطلق.

-**طبيعة القيم:** تؤمن المثالية بوجود قيم ثابتة لا تتغير، يتوصل إليها المفكرون والعلماء والعظماء عن طريق الإيحاء ولا يجوز الشك في صحتها، وهي صالحة لكل مكان وزمان. وإذا حصل تنافر بين هذه القيم ومطالب الحياة، فهذا لا يعني أنها غير صادقة بل إن أساليب حياتنا هي الخاطئة وتحتاج إلى تصحيح.

-**طبيعة المجتمع:** تنظر هذه الفلسفة للمجتمع على أنه يتكون من طبقة الفلاسفة المفكرين وطبقة العمال.

-**طبيعة التربية:** تتفق التربية المثالية مع مبادئها، فهناك ازدواجية في التربية إذ توجد تربية الطفل تربية علمية، وتدريبه على المهن التي يحتاج إليها. وقد دعت إلى فكرة الإعداد التربوي للقادرين على العمل العقلي، أما غير القادرين فلهم التدريبات الخاصة لتطبيق الحقائق التي توصل إليها القادرون وهم الفلاسفة.

ومن المدارس النفسية التي تتفق مع الفلسفة المثالية هي:

– مدرسة الملكات النفسية، وترجع أصولها إلى أفلاطون، وقد آمن أتباعها بأن العقل الإنساني مكون من عدة ملكات منفصلة عن بعضها، وكل منها بحاجة إلى التدريب، مثل ملكة الحفظ والصبر والتذكر والمحاكمة.

– مدرسة التدريب العقلي النفسية، وقد قام فردريك هربارت الألماني بتطويرها، حيث ترى هذه المدرسة أن عقل الإنسان عبارة عن بئر يجب ملؤها بالحقائق الدراسية بواسطة معلمين مختصين يتبعون خطوات هربارت الخمس في التدريب وهي: الإعداد للدرس، والتقديم، والمقارنة والتعميم، ثم التطبيق.

***التطبيقات التربوية:***

***-المنهاج:***

إن المنهاج الذي تتبعه هذه المدرسة الفلسفية منهاج ثابت غير قابل للتطور، ينبع من فكرة ترك القديم على قدمه، وهدفها ليس تحقيق الإبداع والابتكار بل تحقيق الفكرة المطلقة بالنسبة للحقيقة والخير اللذين وضعا سلفا، ويتم نقل محتوى المناهج من جيل إلى آخر لأن المعرفة التي توصل إليها الأولون ثابتة، ولكن ممكن الوصول في المستقبل عن طريق الحكماء ورجال الدين إلى معرفة جميع الحقائق المفيدة للحياة ولسعادة الإنسان. أما مواد الدراسة تنادي بالتركيز على الأدب والدين والفلسفة والتاريخ والرياضيات، والعلوم العقلية.

-**طرق التدريس:** الطريقة التي تتبعها في التدريس هي الطريقة التقليدية، وتهدف إلى حشو أدمغة التلاميذ بالحقائق المطلقة التي توصل إليها الأجداد، ولا تعطي اهتمامًا كبيراً للفروق الفردية. وتقوم على أساس تدريب الملكات العقلية وترويضها مراعاة لمدرسة الملكات النفسية، أو بحسب الخطوات الخمس لهربارت. وتؤمن باستعمال العقاب البدني من أجل تحقيق أهدافها، والمحافظة على النظام والهدوء في الصف، لأنه يؤدي إلى تدريب ملكة الصبر والإرادة عند المتعلم. ولا تؤمن بالطرق الحديثة في الإرشاد والتوجيه، كما أنها لا تأخذ بالاعتبار الظروف البيئية المحيطة.

– ولا تعير المثالية أهمية للنشاطات اللاصفية في منهاجها الدراسي بناء على نظرتها الازدواجية للإنسان التي ترى في هذه النشاطات تقوية للجسم، في حين أن الجسم لا يهمها لأنها تركزعلى الروح.

–**المدرس:** يجب أن يكون المدرس قادراً على ملء العقول، وأن تكون له الكفاءة على تدريب الملكات حسب وجهة مدرسة الملكات النفسية، وترى مدرسة التدريب العقلي النفسية أن يكون المدرس مختصاً في مادته قادرًا على إتباع الخطوات الخمس لهربارت.

–**العمل الجماعي:** لا تؤمن بالمشاركة الجماعية في حل المشاكل التربوية ، لأنها لا تشجع الإرشاد والتوجيه، ولا تهتم باجتماعات الآباء والمدرسين اعتقاداً منها أن المدرسة وحدها هي القادرة على تعليم وتدريب المتعلمين و إعدادهم للحياة.

### *2–الفلسفة الواقعية Realism*

تمتد جذور الفلسفة الواقعية إلى أرسطو (383–322 ق.م)،فهو الذي نقل الفكر اليوناني من التفكير في عالم المثل إلى عالم الواقع (الحس) فالحقائق لا تستقى من الإلهام أو الحدس كالمثالية، وإنما تكتشفا في عالم التجربة والخبرات اليومية، وقد تطورت هذه الفلسفة وأصبحت تضم عدة مذاهب واقعية، ومن أبرز روادها توما الاكويني وأوغست كونت، وجون لوك، وبرتراند رسل وغيرهم.

وقد افترض جون لوك أن جميع المعارف يمكن التوصل إليها من خلال التجربة، فنحن نولد من دون أفكار سابقة وتكون عقولنا كالصفحة البيضاء تخط عليها التجربة كل ما نتوصل إليه بإتباع الأسلوب العلمي.

وقد أحدثت الفلسفة الواقعية تأثيرات كبيرة على نظمنا التربوية في مطلع هذا القرن، كما كان لها تأثير كبير في المجال الصناعي حيث ظهرت الدراسات التحليلية للمهن من أجل تحديد الطرق المثلى للقيام بالأعمال، ومن ثم تلقينها للعامل المناسب، وأصبحت وظيفة المدرسة إعداد الطفل للعمل الملائم له.

ومن أهم المبادئ الأساسية للفلسفة الواقعية :

–**طبيعة العالم:** إن عالم الواقع (الفيزيقي) يتضمن الحقائق جميعها، وهو عالم مستقر وثابت. وعن طريق التحليل العلمي الموضوعي نستطيع اكتشاف الحقائق الشاملة الموجودة فيه، وهذه الحقائق هي القوانين الطبيعية التي تتحكم في سير العالم والإنسان.

–**طبيعة الإنسان:** الإنسان كالموجودات الأخرى يمكن معرفته عن طريق دراسة مكوناته .

-**طبيعة الحقيقة:** تؤمن بأن الحقائق ومصادرها موجودة في عالمنا الحسي الذي نعيش فيه، ويمكن التوصل إليها عن طريق التحليل الموضوعي والطرق العلمية، على عكس المثالية التي تتبع أساليب غير موضوعية.

-**طبيعة المجتمع:** مذهب الواقعية أن المجتمع يسير وفق قوانين طبيعية عامة لا تتغير، وكلما ساير الإنسان هذه القوانين الطبيعية وفهمها كان سير المجتمع طبيعياً و متوازنا، كما تؤمن بضرورة تكيف الفرد مع مجتمعه.

-**طبيعة التربية:** تهدف التربية إلى مساعدة الفرد للتكيف مع بيئته لا ليشكلها أو يؤثر فيها، وحتى ينجح في هذا التكيف فإن عليه إن يفهم العالم الذي يعيش فيه ،وهذه المعرفة من الممكن اكتشافها وتلقينها للصغار بطريقة منظمة في المدارس، فهدف المدرسة هو تعليم الضروري للحياة.

وتتفق الفلسفة الواقعية مع نظريات المدرسة السلوكية.

**التطبيقات التربوية :**

يمكن تطبيق وجهة نظر هذه الفلسفة على عدة مجالات تربوية:

-**المنهاج:** يتكون المنهاج في هذه الفلسفة من مجموع الحقائق التي اكتشفها العلماء من عالم الحس، ومكونات المنهاج الواقعي متى اكتشفت تصبح ثابتة، ويكون تغيرها بطيئاً، وتتألف من العلوم والمواد الاجتماعية، وتعطي اهتماماً كبيراً للتعليم المهني.

-**طرق التدريس:** على المدرس في الفلسفة الواقعية تقسيم درسه إلى عناصر أساسية وتحديد المثير والاستجابة لكل منها، ثم يقدمها للمتعلمين بطريقة تجعلهم يستجيبون الاستجابة الصحيحة، ويقوم المدرس بتكرار أحداث المثير لكي تتبعه الاستجابة الصحيحة، ولا ينسى مكافأة الطلبة كلما قاموا بالاستجابة الصحيحة (وتفضل الواقعية استخدام آلات التعليم المبرمج).

-**السلوك و المدرسة:** تهتم الواقعية بالسلوك الحسن في المدرسة، حتى أنها وضعت لكل مخالفة العقوبة التي تناسبها، وعلى المدرسين إتباعها، ويرى الواقعيون بضرورة التوجيه والإرشاد المدرسي.

كما ترى أنه من الممكن أن تتم العملية التعليمية- التعلمية في أي مكان ما دام الفرد مستعداً للقيام بالاستجابات المرسومة للمثيرات المحددة، إلا أنها لا تمانع في إنشاء المدارس الحديثة المجهزة، ولكنها لا تمثل شرطاً لنجاح عملية التعليم.

-**العمل الجماعي:** تؤمن هذه الفلسفة بالمشاركة الجماعية لكن في نطاق محدد، والمدرس هو الحاكم بأمره في قاعة الدرس، ولا يسمح بمشاركة المتعلمين في حل المشاكل التي تواجههم إلا في وجود المرشدين المختصين.

### *3*-الفلسفة البرجماتية Pragmatism:

تعود جذور هذه الفلسفة إلى الفيلسوف اليوناني هيراقليطس (535- 475 ق.م) Heraclitus الذي يعتبر الجد الأعظم للجدل وآمن بالتغير المستمر، وأن الحقائق الثابتة المطلقة لا وجود لها. وكذلك إلى كونتليان35-95م Quintilian المدرس والخطيب الروماني الذي آمن بأن الممارسة العملية هي أساس التعليم مخالفاً بذلك المثالية الدينية القائلة بأنه: "من حلول الإيحاء والحدس والإلهام يصل الإنسان إلى الحقائق والمعارف".

تطورت البرجماتية في أمريكا نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. ومن زعمائها المؤسسين شارلز بيرس 1839-1914 Charles S. Peirce، ووليم جيمس 1842- 1910 William James وجون ديوي 1859- 1952 John Dewy، وكان بيرس أول من استعمل كلمة برجماتية (Pragmatism) في الفلسفة الحديثة سنة 1878 في مقالة كتبها بعنوان «***كيف نوضح أفكارنا***» وهذه الكلمة مشتقة من الكلمة اليونانية (Pragma) ومعناها العمل، لكن يعتبر الفيلسوف الأمريكي جون ديوي المفكر التربوي الذي طورّ البرجماتية إلى فلسفة كاملة، وتطبيقها في كل مجالات الخبرات الإنسانية.

ويطلق على هذه الفلسفة أيضا الأدائية الوسيلية، الوظيفة، النفعية.. وكل هذه التسميات تعطي فكرة عن مفهوم هذه الفلسفة التي سادت في الكثير من الدول الصناعية المتطورة، وتدعو إلى أنّ التربية هي الحياة وليست إعداداً للحياة.

من أهم المبادئ الفلسفية للبرجماتية :

-**طبيعة العالم**:ترى أن العالم في حالة تغير مستمر، وهو خاضع للتجربة والبحث العلمي.

-**طبيعة الحقيقية**: الحقيقية غير مطلقة وهي خير ما في حوزتنا من المعارف المجربة المختبرة، والحقائق المطلقة لا يمكن للإنسان الحصول عليها في عالمنا هذا.

-**طبيعة الإنسان**: الإنسان كل متكامل، فعقله وجسمه ونفسيته ليست أجزاء منفصلة بل هي خصائص لعضو متكامل، وأن لكل طبيعته وشخصيته ، وأن الإنسان نتاج تفاعل البيئة الطبيعية مع الاجتماعية.

-**طبيعة المجتمع**: المجتمع متغير حسب اجتهاد الإنسان ومساهمته في بنائه وتطويره وحل مشاكله الاجتماعية.

-**طبيعة القيم**: لا تؤمن بوجود قوانين أخلاقية مطلقة، وترى أن أحكامنا حول القيم قابلة للتغير، فلأحكام التي نصدرها على شيء تعتمد على نتيجة ما يحققه من نتائج عملية نفعية لصاحبه.

-**طبيعة التربية**: التربية هي الحياة نفسها، تستمر مادام الإنسان حياً،ولا تتوقف عند أية مرحلة لأن المجتمع دائم التغير والنمو.

وتتفق البرجماتية مع مدرسة الجشطلت النفسية التي نمت وتطورت على يدي كل من كوفكا وكوهلر.

**التطبيقات التربوية:**

-**المنهاج** : المنهاج حسب البرجماتية يجب أن يكون مرنا قابلا للتغير والنمو، ويبنى على أساس تعاوني من قبل المختصين من خلال التركيز على الخبرات النافعة. ولا يكون على أساس الحفظ والتكرار وملء عقول المتعلمين بالحقائق والمعلومات الثابتة المطلقة، مع ضرورة مراعاة الفروق الفردية لدى المتعلمين ليتحمسوا لاكتسابها . وتهاجم هذه الفلسفة التقسيم التقليدي للمنهاج إلى علوم ومواد مختلفة لأنها تعتبر جميعا نواحي متعددة للنشاط الإنساني هدفه حل مشاكل البيئة التي لا تتجزأ، ولذا فإنها تدعم مبدأ التكامل في المنهاج.

-**طرق التدريس** : تركز طرق التدريس على مبدأ العلم بالعمل، فالأفكار تنشأ من خلال العمل، وتتطور من أجل سيطرة أفضل على العمل ، أما استخدام الرموز والمفاهيم دون الاستناد إلى العمل فيكون أفكاراً فارغة. ولهذا تركز البراجماتية على تنويع أساليب التعليم والابتعاد عن التلقين والاستظهار وتخزين المعلومات واختيارها على ضوء الأهداف التعليمية بإتباع أساليب التجريب والمشروعات واستعمال الأسلوب العلمي في حل المشكلات الذي يتضمن الشعور بالمشكلة، وتحليلها ثم وضع الفروض واختيار الفروض الممكنة منها، ثم تأتي عملية الحكم العام للوصول إلى النتائج المرجوة.

-**المدرس:** هو موجه ومرشد للمتعلمين ، ويجب أن تتوفر فيه مجموعة من الكفاءات حتى يستطيع أن يؤدي وظيفته (التخصص،طرق التعليم، علمه بطبيعة المتعلمين..).

-**السلوك:** لا يرى البرجماتيون ضرورة لاستعمال العقاب لضبط السلوك، وإنما يتم ذلك عن طريق وضوح الأهداف، وجعل العمل محبباً للتلاميذ، وإشراكهم في الأنشطة، وتوعيتهم لأهمية النظام المدرسي،أما إذا كان لا بد من استعمال العقاب فيجب أن تتبع الطرق الآتية:

-إحالة المخالف إلى مجلس التأديب.

-مقابلة المتعلم لمعرفة مشاكله ودوافع سلوكه ومن ثم إرشاده.

-إشراك أولياء الأمور في اتخاذ القرار.

-**النشاطات اللامنهجية:** تولى هذه الفلسفة النشاطات اللامنهجية أهمية كبيرة،وتشجع المتعلمين على المشاركة فيها لأنها تشبع ميولاً ودوافع ضرورية لنموهم المتكامل.

-**التغير:** تؤمن البرجماتية بالتغير المستمر وترى أنه يستحيل على الإنسان في هذه الدنيا الوصول إلى حقائق ثابتة لا تتغير ، فالوجود في تغير، والثبات موت وعدم، وكل شئ في هذا العالم نسبي،وتشجع البرجماتية الأساليب الديمقراطية في اتخاذ القرارات التربوية، والإرشاد والتوجيه، على أن ينبع حل المشاكل من صاحب المشكلة وتومن بإشراك أولياء في النواحي التربوية التي تتعلق بأبنائهم.

### 4-الفلسفة الطبيعية

ظهرت الفلسفة الطبيعية المبكرة في أواخر عصر النهضة كثورة على منطق العصور الوسطى، وتدني مستوى التعليم، حيث سادت النزعة الدينية الداعية إلى الزهد والانقطاع للعبادة طمعاً في الحياة الآخرة، فكان من الطبيعي أن يتلو هذا الجمود حركة طبيعية تعيد إلى التربية حويتها ونشاطها، وتبعث فيها حياة جديدة.

ويعتبر جان جاك روسو(1712-1778) الفيلسوف الفرنسي من رواد الحركة الطبيعية، فقد ثار على الهيئة الاجتماعية ونظمها القائمة، ونقد التربية نقداً شديداً. وتظهر ثورته بوضوح في عبارته المشهورة "سيروا ضد ما أنتم عليه، تجدوا أنفسكم دائماً في طريق الصواب".

وقد تبع روسو في اتجاهاته الفلسفية الطبيعية تربويون منهم بستالوتزي وهربارت وفروبل ومكدوجل الذين عمقوا هذا الاتجاه.

واليوم نجد أن كثيراً من المفاهيم الفلسفة الطبيعية ومبادئها قد وجدت صدى عميقاً لدى المربين والمهتمين بدارسة الطفولة. فانتشرت رياض الأطفال في كل مكان، واهتمت بتعليم الأطفال عن طريق اللعب، وظهرت المناهج التي تقوم على المواد الدراسية التي تستمد موضوعاتها من بيئة الطفل ومجتمعه.

المبادئ الأساسية للفلسفة الطبيعية:

-**طبيعة العالم:** تؤمن الفلسفة الطبيعية بالعالم الواقعي الذي نعيش فيه والذي يظهر من خلال الحواس والدراسات العلمية. وهذا العالم خاضع لقوانين متعددة تسيره بانتظام. ومن هنا فهي تتفق في هذه النظرة مع البرجماتية.

-**طبيعة الإنسان:** تؤمن هذه الفلسفة بأن طبيعة الإنسان خيرة مبرأة من الشر مما جعل روسو يبدأ كتابه المشهور في التربية( إيميل) بهذه العبارة ( كل شئ خير إذا ما جاء عن خالق هذا الكون، وكل شئ يصيبه الفساد والانحلال إذا ما مسته يد البشر)، فالطبيعة البشرية تنمو وتتطور حسب قوانين ثابتة مماثلة للقوانين التي تحكم الظواهر الطبيعية، وعلى المربين أن يتفهموا طبيعتها دون التدخل في عملها أو إفساد دورها.

-**طبيعة المجتمع:** تهتم الفلسفة الطبيعة بقيمة الخبرة الاجتماعية التي اكتسابها عن طريق الممارسة العملية، وذلك بتكوين مجتمع طبيعي قائم على الحكم الذاتي وممارسة الانتخاب. ولذا فهذه الفلسفة تؤمن بالمجتمع الطبيعي القائم على العدالة والمساواة بين الأفراد، لا المجتمع الطبقي القائم على التحكم والظلم الفساد.

-**طبيعة التربية:**ينادي الطبيعيون بأن تكون التربية عملية سلبية مابين سن الخامسة والثانية عشر، لا يتدخل فيها الإنسان سواءً كان أبا أم مدرساً، إذ أن تدخل الإنسان فيها يقتل نمو الطفل ويفسد الطبيعة . ويجب أن تقوم التربية الطبيعية على مبدأ الاهتمام بالطفل وتنمية رغباته وإشباع حاجاته انطلاقا من طبيعته الذاتية ، وحتى تكون التربية طبيعية فإنهم يدافعون عن التعليم المختلط ولا يحبذون فكرة المدارس الداخلية.

أما المدرسة النفسية المتفقة مع هذه الفلسفة فهي المدرسة السلوكية.

**التطبيقات التربوية:**

-**المنهاج:** يراعى المنهاج الطبيعي نمو الطفل واهتماماته، مستخدماً الأنشطة والخبرات المناسبة للنمو، ويتألف المنهاج الطبيعي من العلوم الطبيعية والجبر والفلك والجغرافيا على أن تدرس عن طريق الأسفار(الرحلات ) لا الكتب والخرائط. وكما يهتم المنهج الطبيعي بالتعليم المهني وتعلم الحرف المختلفة.

- **طرق التدريس:** تعتمد طريقة التدريس في الفلسفة الطبيعة على الخبرة، يقول روسو (لا تعطه دروساً شفوية مطلقاً، ولكن يجب أن يتعلم الطفل عن طريق الخبرة).

-**السلوك:** لا تؤمن هذه المدرسة باستخدام العقاب البدني، وإنما تلجأ إلى القانون الطبيعي في تحقيق أهدافها التربوية، وقد قال روسو في هذا( فإذا طلبت منه أن يرتدي ملابسه للخروج إلى النزهة و تأخر في لبسها فدعه في البيت ولا تخرجه برفقتك، وإذا كسر زجاج النافذة فدعه يتألم من البرد، وإذا كلفته بعمل وتقاعس عن القيام به فاحرمه من الطعام إلى أن يقوم بذلك العمل. وبالاختصار دع الطبيعة تربي الطفل طبق قوانينها ونواميسها).

-**الأنشطة اللاّصفية:** تهتم الطبيعية بالأنشطة اللاصفية لأنها تساعد على تنمية ميول الطفل وقدراته بأقل تدخل أو إشراف ممكن من المربين.

- **المدرس:** يجب أن يكون المربي الطبيعي موجّها فحسب، وأن يشجع الطفل على تربية نفسه بنفسه.

-**الإدارة المدرسية:** ترى الفلسفة الطبيعية ضرورة إشراك الأطفال في إدارة أنفسهم داخل البيئة المدرسية والاجتماعية، كما يسهمون في وضع القواعد والقوانين التي تحكم تصرفاتهم في الأنشطة التربوية، مما يشجع تربيتهم على الاستقلالية، ويرفض أتباع الفلسفة الطبيعية سيطرة الدولة على التعليم، ويفضلون أن تشرف عليه هيئات أهلية بالتعاون مع الآباء، ولا تتدخل الدولة إلا إذا تأكدت أن الأطفال لا يتعلمون.